

الملحق الأول
بعثة الجامعة العربية
إلى إمارات الخليج العربي

بعثة الجامعة العربية إلى إمارات الخليج العربي

حل عام ١٩٦٤م وحلت معه الأحداث والإشاعات ، منها المحاولة الإيرانية للتحرش بجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة ، كذلك محاولات التسلل غير المشروع للمنطقة من قبل عناصر أجنبية مختلفة كما سيأتي ذكره . وقد تناولت الصحف والإذاعات العربية هذه المواضيع مصيبة الهدف أحياناً ومخطئة في أكثر الأحيان مما زاد في بلبلة الرأي العام العربي وحجبت عنه الرؤية السليمة .

وإذا كان لا بد من عودة للماضي القريب فقد كانت منطقة الخليج مزدهرة نسبياً أيام ازدهار تجارة اللؤلؤ حيث كانت المئات من سفن الصيد تنطلق من الموانئ المنتشرة على الساحل العربي في كل عام ابتداء من نهاية فصل الربيع وانتهاءً ببداية فصل الخريف حيث تعود تلك السفن بصيدها الثمين الذي سرعان ما تتخطفه أيدي التجار والسماسرة من جميع أنحاء العالم ، لتنقله إلى أسواق بومبي وباريس ولندن التي تنتظر هذا الموسم من كل عام لأهميته حيث تعرض أمامهم كنوز أحفاد السندباد فينتقى منها أحسنها كزينة لئساء الطبقات العليا ، ومنها تلك اللالكى التي ترصع بها تيجان الملوك والملكات .

ومن جراء هذه التجارة الرابحة كان يعم المنطقة رخاء نسبي ، أضف إلى ذلك ما كانت تدره عليهم من مداخيل تجارة النقل البحري التي كانت تبدأ بعد انتهاء موسم الغوص وتنتهي عند بدايته في كل عام وهو موسم (السفر) كما كان يسمى .

استمر هذا الوضع المستقر لفترة من الوقت حتى جاءت الأزمة العالمية الخائقة في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات ، وعم الكساد أسواق العالم بأسرها ولم تسلم

منه منطقة الخليج ، وقد كان وقع الأزمة على هذه البلاد أعظم وذلك بسبب ظهور اللؤلؤ الياباني المصنع أو المزروع ، وهنا نرى كيف انقطعت أرزاق الناس ووسائل عيشتهم التي اعتادوها منذ أمد بعيد . وهكذا اضمحلت الحياة في تلك الأماكن التي كانت في وقت مضى تعج بالحركة والحيوية ، وأصبحت خاوية على عروشها فهاجر من هاجر من أهلها ورحل من رحل ، وظلت بقية من أولئك البشر تنتظر مصيرها وتتشبث بالأرض وهي تعيش على هامش الحياة ، حتى قبض الله لها أن ترى ينابيع الحياة تتفجر أمامها من جديد ، وذلك عندما تفجر الذهب الأسود من باطن هذه الأرض الطيبة ، فتبدل الحال ، ثم ينعكس التيار وتبدأ الهجرة حيث الحاجة الملحة إلى الأيدي العاملة من فنية وغيرها لاسيما الأعمال التي تحتاج إلى بذل طاقة جسدية كأعمال البناء ورفع الأثقال ورفض الطرق وتفريغ البواخر وغيرها . لذلك كان من الطبيعي أن تبدأ الهجرة إلى أماكن الازدهار ، وكان أكثرها من الأماكن الأقرب والمزدحمة بالسكان مثل إيران والهند وباكستان .

كان بعضهم يأتي بطرق مشروعة والقسم الأكبر يتسلل بحراً بواسطة السفن الصغيرة التي كانت تقذف بحمولتها على السواحل المكشوفة والتي يتعذر على السلطات المحلية مراقبتها بسبب عدم الاستعداد لهذه الظاهرة المفاجأة . ويبدأ زحف هذه الكتل البشرية من هذه الأماكن الساحلية إلى المدن حاملة معها في أكثر الأحوال البؤس والشقاء وأحياناً الأمراض المختلفة ، وقد برزت عمليات التسلل هذه على شواطئ إمارات الساحل العماني وكانت تسمى أحياناً من بعض الأجانب دول الساحل المتصالح أو ساحل القراصنة . وكثر التسلل بسبب قربها من أماكن الهجرة وقلة أو انعدام وسائل مكافحة التسلل في الأراضي المشار إليها والتي أصبحت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة .

أما الهجرة العربية إلى هذه الأماكن فكانت تختلف تماماً ، فإن القادم إلى هذه

الأماكن كان عادة يأتي عن طريق الجو ، ولذا يتوجب عليه الحصول على تأشيرات الدخول من الجهات الرسمية البريطانية ، زد على ذلك فإن العربي غالباً ما يستتكف من القيام بالأعمال المتدنية مثل كنس الشوارع أو الخدمة في البيوت إلخ . . . ، ولهذا كان أكثر القادمين العرب إما من الطبقات المتعلمة التي تبحث عن الوظائف الإدارية أو الفنية أو أصحاب الحرف والمهن والتجار ومن على شاكلتهم .

وقد نشطت عملية التسلل هذه حتى أصبحت تجارة رابحة لبعض أصحاب السفن الشراعية والقوارب البخارية (النجات) ، فكان السماسرة في تلك البلاد المجاورة عبر البحار يثون الدعايات عن وجود الفردوس المنتظر ، ثم يقبضون من أولئك المساكين أجور نقلهم مقدماً ، وهو المبلغ الذي استطاعوا أن يحصلوا عليه نتيجة لبيع مالديهم من أثاث أو مصاغ نسائهم أو ما ادخروه للأيام السود ، ثم يأتون بهم بتلك السفن ويقذفونهم في الأماكن النائية من تلك السواحل المقفرة الجرداء ، وهنا تبدأ فصول المأساة ؛ فالشباب من هؤلاء لديهم الاستعداد للسير مسافات طويلة على الأقدام بدون مؤونة الطعام والشراب ، أما الذين كانوا أقل مقدرة فينتظرهم أسوأ مصير ، وقد رأيت بعيني في عدة مناسبات عند زيارتي للمنطقة في أوائل الستينيات أمثال هؤلاء البؤساء يزحفون على تلك الشواطئ في عز الصيف والشمس المحرقة تلهب أجسادهم المتداعية ، وكنت أراهم أحياناً يتظللون بحصر ممزقة أو ينبشون هم وأطفالهم بعض صناديق القمامة عليهم يجدون فيها شيئاً من فضلات طعام يخفف عنهم وطأة الجوع .

هذا فيما يتعلّق بالمجموعات التي يكتب لها النجاة فتصل إلى الساحل بسلام ، وكم من مجموعات أخرى ابتلعتها أمواج البحر التي لا ترحم لعدم صلاحية السفن التي كانت تحملهم أو بسبب شحن تلك السفن بحمولة أكثر مما قدر لها أن تحمل . وكم نشرت الصحف والإذاعات أنباء تلك المآسي التي كانت تتكرر على مر الأيام .

ولاشك أن مكافحة التسلل الآن هي أحسن مما كانت عليه الحال في الماضي ، وذلك بسبب الإجراءات المضادة التي كانت تتم من قبل السلطات المحلية وبسبب توافر إمكانات المكافحة التي لم تكن متوفرة في الخمسينيات وأوائل الستينيات ، ولكن مع هذا أقول إن الزحف لا يزال مستمراً ولو بصورة أقل بالنظر للظروف السائدة وتمشياً مع طبيعة الأشياء ، وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه عندما تنبّهت السلطات المحلية إلى هذا الخطر وبدأت تحرس الشواطئ ثم تقبض على مجموعة من هؤلاء المتسللين وتعيدهم إلى المكان الذي أتوا منه ، كانت تواجه في بعض الأحيان مشكلة مستعصية وهي أن سلطات تلك البلاد ترفض عودة هؤلاء البؤساء إلى أوطانهم بحجة عدم حيازتهم على هويات تثبت انتماءهم لتلك البلاد ، أو أنهم هاجروا منها ، مما يوحي بأن تلك السلطات كانت ترى في مثل هذه الهجرة تخفيفاً عمّا هي فيه من ضيق ، ولهذا فإنها تحاول إيجاد العراقيل لتحول دون عودتهم .

وكما أشرت سابقاً فقد كان أمثال هذا الزحف يشمل كل سواحل الخليج العربي بصورة عامة ، وكانت إمارات ساحل عُمان أو ما كان يسمى في ذلك الوقت عند الأجانب الساحل المهادن أو ساحل عُمان المهادن (Trucial Coast - Oman) أكثر ظهوراً ، وذلك بسبب قربها من أماكن الهجرة ، ثم ضعف وسائل مكافحة التسلل كما سبقت الإشارة .

المتاجرة بجوازات السفر

ومع تعاظم أخطار الهجرة الأجنبية ظهر خطر آخر في ذلك الوقت عن طريق المتاجرة بجوازات سفر الإمارات ، وقد نشطت هذه التجارة في أوائل الستينيات نتيجة لعدة عوامل ، أولها ضعف مداخل الإمارات وحاجة بعض المتنفذين إلى المال ، وثانيها توافر المال بأيدي جماعة من النازحين الأجانب ، فبشرايتهم تلك الجوازات يضمنون بقاءهم في البلاد العربية ثم تنقلهم في البلاد الأخرى بحرية ، ولاسيما البلاد

العربية التي كانت تعامل أبناء الخليج معاملة خاصة ، كسهولة الإقامة والحصول على عمل ، كما كان الحال عليه في السعودية والكويت والبحرين وقطر .

وعلى ذكر دخل الإمارات الضعيف باستثناء أبو ظبي التي بدأت بتصدير النفط لأول مرة في عام ١٩٦٢ م . وكذلك دبي بسبب مركزها التجاري الهام ، وإمارة الشارقة الذي كان يتقاضى حاكمها مئة وعشرة آلاف جنيه إسترليني سنوياً تدفعها الحكومة البريطانية كأجرة للقاعدة الجوية البريطانية . فقد كان دخل الإمارات السبع في عام ١٩٦٤ حسب المصادر البريطانية على النحو الآتي :

الإمارة	الدخل (بالجنيه الإسترليني)
أبو ظبي	خمسة ملايين
دبي	مليون وخمسون ألف
الشارقة	مئة وعشرة آلاف من تأجير القاعدة البريطانية
عجمان	أربعة وعشرون ألف
أم القيوين	اثنان وثلاثون ألف
رأس الخيمة	أربعة وأربعون ألف
الفجيرة	خمسة وعشرون ألف

أما عدد السكان فكان حسب إحصاءات ١٩٦٨ م التي أجراها مكتب التطوير على النحو الآتي :

الإمارة	عدد السكان (بالألف)	المساحة (بالميل المربع) ^(١)
أبو ظبي	٣٦	٢٦٠٠٠
دبي	٥٩	١٥٠٠

(١) راجع نشرة مكتب التطوير في دبي لعام ١٩٦٨ م .

١٠٠٠	٣١,٥	الشارقة
١٠٠	٤,٢	عجمان
٣٠٠	٣,٧	أم القيوين
٦٠٠	٢٤,٥	رأس الخيمة
٤٥٠	٩,٧	الفجيرة
---	١,١	قوة ساحل عمان

وكانت مؤلفة من ضباط

بريطانيين ومجندين محليين

المجموع : ١٨٠٢٠٠ مئة وثمانون ألف ومئتا نسمة .

علماً بأن هذه الأعداد تشمل الأجانب الذين كانوا موجودين بنسبة أعلى في دبي والشارقة ، ومن هذه الأرقام يمكن بسهولة إدراك الخطر الذي كان يهدد المنطقة ، وقد كانت الكويت السبّاقة إلى دق ناقوس الخطر سواء على الصعيد الحكومي أو الشعبي ، فالصحافة الكويتية لم تقصر في التنبيه إلى هذه الأخطار ، وعلى مستوى الحكومة فإنها كانت تنتهز كل مناسبة لتحذير المسؤولين في الإمارات حول تلك الأخطار المحيطة بهم لاسيما عندما استفحل أمر بيع الجوازات وأصبح بعضها في حوزة بعض المجرمين ومحترفي النصب والاحتيال ، كما أشارت إلى ذلك بعض الصحف الأجنبية^(١) .

وبتاريخ ٢ من مارس ١٩٦٤م ، وجه الشيخ صباح الأحمد الصباح وزير الخارجية الكويتي رسالة إلى كل من حكام الإمارات الست باستثناء أبوظبي ناصحاً ومحذراً من أخطار الهجرة الأجنبية وبيع الجوازات^(٢) ، وقد حملت الرسالة بنفسها وسلمتها للحكام يدأ بيد .

(١) كما تفتتق قرائح بعض تجار الطوابع من عرب وأجانب فاقتروا على حكام الإمارات إصدار طوابع بريدية لكل إمارة، وتم بيع تلك الطوابع لتجار في شتى أقطار العالم.

(٢) راجع نص الرسالة في قسم الملاحق بآخر الكتاب التي وجهها وزير خارجية الكويت معالي الشيخ صباح الأحمد إلى حكام المنطقة.

وتحت ضغط هذه الظروف الخطيرة عقد مجلس الجامعة العربية جلسة بتاريخ ٣١ من مارس ١٩٦٤م واتخذ القرار رقم ١٩٦٢ القاضي بإيفاد بعثة برئاسة الأمين وتضم ممثلين شخصيين لملوك ورؤساء الدول العربية الثلاث المطلة على الخليج ، وهي المملكة العربية السعودية والكويت والعراق ، على أن تكون مهمة البعثة توطيد عرى الصداقة والأخوة بين تلك الإمارات وباقي الدول العربية ولفت أنظارهم إلى الأخطار التي يتعرضون لها وما سيتعرضون له في المستقبل بسبب فوضى الهجرة الأجنبية . وقد طلبت الجامعة العربية من الدول الثلاث المشار إليها تعيين ممثلين شخصيين لرئيس الدولة وقد استجابت حكومة الكويت فوراً لطلب الجامعة العربية وأصدر مجلس الوزراء قراراً بتعييني ممثلاً شخصياً لصاحب السمو الأمير الشيخ عبدالله السالم في اللجنة المقترحة ، كذلك عينت المملكة العربية السعودية سفيرها في الكويت السيد محمد منصور الرميح ممثلاً للملك سعود ، وعينت الحكومة العراقية الدكتور محمود علي الداود مدير الدائرة العربية في وزارة الخارجية ممثلاً شخصياً للرئيس عبدالسلام عارف .

الاجتماع الأول للجنة

أبلغت حكومة الكويت الأمين العام للجامعة العربية بتعييني ممثلاً لصاحب السمو الأمير ، كما أبلغت كل من العراق والمملكة العربية السعودية باسم مندوبها ، وعلى هذا الأساس وجه الأمين العام الدعوة لنا نحن الثلاثة .

وقد وصلتني الدعوة بتاريخ ١٠ من يونيو ١٩٦٤م لحضور الاجتماع الذي تقرر عقده في القاهرة في مقر الجامعة العربية بتاريخ ١٣ من يونيو ١٩٦٤م .

وقد تم الاجتماع في اليوم المقرر وتلاه اجتماع آخر في اليوم الثاني . وقد ترأس اللجنة الأمين العام السيد عبدالخالق حسونة وحضر معه مساعده الدكتور سيد نوفل . وقد استعرضت اللجنة في الاجتماعين مشاكل المنطقة وهمومها ، وعندما جاء

دوري للكلام شرحت بإسهاب أوضاع المنطقة على ضوء المعلومات المتوافرة لدي بحسب طبيعة عملي ، وكانت المعلومات التي شرحتها مهمة جداً للجنة ولم يكن معظمها معروفاً لديهم ، كما أعطيت اللجنة لمحة مختصرة عن المساعدات التي تقدمها الكويت للمنطقة منذ عام ١٩٥٣م فيما يتعلق ببناء المدارس والمستشفيات وبناء المساجد . وعندما جاء ذكر موضوع الهجرة الأجنبية وبيع جوازات السفر ، ذكرت للجنة الرسالة التي وجهها وزير خارجيتنا الشيخ صباح الأحمد إلى الإمارات الست والمؤرخة في ٢/٣/١٩٦٤م كما سبقت الإشارة .

ونتيجة لهذه الاجتماعات وما دار خلالها من أحاديث تقرر أن تسافر اللجنة بكامل أعضائها إلى منطقة الخليج لكي ترى الأمور على الطبيعة ، وكان لابد من تهيئة الجو المناسب لهذه الزيارة ، وذلك بتوجيه رسائل من الأمين إلى حكام الإمارات التسع في الخليج ، وقد وقع الاختيار لحمل تلك الرسائل على ممثل الكويت في اللجنة بسبب الصلة القوية التي تربط الكويت بالمنطقة ، وكذلك لعلاقتي ومعرفتي الشخصية بالحكام بسبب طبيعة عملي في الخليج كمشرف على الخدمات التي تقدمها الكويت هناك .

ولقد قبلت هذه المهمة وأنا أعرف صعوبتها لاسيما فيما يتعلق بتغلغل النفوذ البريطاني وسيطرته على مقدرات تلك الإمارات وأن أي حاكم في ذلك الوقت لا يستطيع أن يبت بأمر هام مثل هذا إلا بعد موافقة السلطات البريطانية ، وذلك بموجب المعاهدات المعقودة بينهم وبين بريطانيا .

رجعت إلى الكويت يوم ١٦/٦/١٩٦٤م وأنا أحمل في حقيتي تسع رسائل إلى حكام كل من البحرين ، قطر ، أبوظبي ، دبي ، الشارقة ، عجمان ، أم القيوين ، رأس الخيمة ، الفجيرة .

وحال وصولي قابلت المسؤولين وعلى رأسهم أمير البلاد الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله واطلعتهم على قرارات اللجنة لاسيما ما يتعلق بتكليفني بحمل رسائل الأمين العام والتمهيد للزيارة المرتقبة .

وبتاريخ ٢٠/٦/١٩٦٤م توجهت إلى البحرين لتكون أول بلد أبدأ بزيارته من أجل أداء مهمتي ، وفي مطار البحرين استقبلني الشيخ محمد بن مبارك وزير الخارجية ، وكان يشغل منصب مدير دائرة الإعلام في ذلك الوقت ، حيث رافقني إلى دار الضيافة في الرفاع ، وبعد استراحة قصيرة توجهت بصحبته إلى القصر المجاور حيث كان صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين يجلس كل صباح كعادته هناك . فسلمت عليه فاستقبلني في منتهى اللطف والترحاب ، وبعد ذلك سلمت إلى سموه الرسالة ثم جرى الحديث حول موضوع البعثة ، وكان متحفظاً في رده ، وقد أدركت ضمناً أنه لا بد وأن يبحث الموضوع مع المسؤولين البريطانيين تمهيداً مع نصوص المعاهدات المعقودة مع السلطات البريطانية وأمراء الخليج ، والتي سبقت الإشارة إليها .

وبعد فترة صمت قصيرة قلت للشيخ عيسى إذا كان يسمح لي سموه بمقابلة السير ويليام لوس المقيم السياسي البريطاني في الخليج والذي كانت البحرين مقرراً له ، وقلت لسموه إنني أريد أن أشرح للسير وليام شيئاً عن مهمتي فأبدى الشيخ موافقته وشعرت بأنه تقبل هذا الخبر بارتياح ظهر على قسماط وجهه ، فالتفت إلى الشيخ محمد وطلب إليه تحديد موعد المقابلة ، وهنا استأذنت من سموه فقال نراك هذا المساء إن شاء الله ، وعند خروجنا أخبرني الشيخ محمد بدعوة الأمير لي لتناول طعام العشاء مساء ذلك اليوم على مائدة سموه .

وقد كانت لي معرفة سابقة بالسير ويليام لوس حيث قابلته في عدة مناسبات ، فهو رجل في غاية التواضع وبعيداً عن مظاهر الغطرسة ومظهره يدل على أنه قارب

الستين من عمره ، ومن بقايا سياسيي الإمبراطورية المحتكين ، وقد خدم فترات طويلة في البلاد العربية ، لاسيما في السودان وعدن ، ولذلك فهو يجيد اللغة العربية . كذلك فهو الذي وقع على إنهاء معاهدة الحماية بين بريطانيا والكويت في عام ١٩٦١ م . وكان المقيمون السياسيون في بداية عهدهم يقيمون في ميناء بوشهر التابع لإيران ، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية انتقل مقرهم إلى البحرين ، والمقيم السياسي يرأس جميع المعتمدين البريطانيين في الخليج ويعين من قبل وزارة الخارجية برتبة سفير أما بقية المعتمدين فهم دونه بالرتبة وأكثرهم كانوا برتبة سكرتير أول .

تقرر أن أقابل السير وليام في اليوم التالي قبل سفري إلى قطر ، وكنت حريصاً على مقابلته لأشرح له المهمة التي أتيت من أجلها ولأستمع إلى وجهة نظره ، حيث كنت أعرف بالتجربة أنه من غير الممكن أن تتم الزيارة بأي حال من الأحوال إذا كان الإنجليز يعارضونها حيث يعتبرون ذلك من حقهم ، خولته لهم المعاهدات المعقودة بين الطرفين .

وفي صباح اليوم التالي وقبل الذهاب إلى السير وليام ، ذهبت لسمو الشيخ عيسى للسلام عليه مودعاً . ثم توجهت إلى دار المقيم السياسي ، وهناك وجدت السير وليام في استقباله فرحب بقدمي ودارت بعض الأحاديث بيننا ثم انتقلت إلى صلب الموضوع ، فأخبرته بمهمتي كما شرحت له الظروف التي أدت إلى تشكيل اللجنة ، فأظهر بعض التحفظات ، ولكنني أخبرته بأنني من خلال اجتماعاتي الأخيرة بأعضاء اللجنة أدركت أن الجميع على مستوى المسؤولية وهم بعيدون عن التطرف الذي يخشى منه ، فردّ عليّ قائلاً : إنني أعرف حسونة باشا وهو رجل طيب إنمّا الدكتور نوفل . . . وسكت وهو يهز رأسه وكأنه يرسم علامة استفهام فيها إشارة لشيء من الشك ، ثم أردف قائلاً : على أي حال إننا لا نستطيع أن نمنع بعثة الجامعة من زيارة المنطقة ، ثم واصل حديثه بشيء من المرارة قائلاً : إن بعض وسائل الإعلام العربية بما

فيها الصحف تقول إننا سنجعل من الخليج فلسطين ثانية! وهذا شيء غير صحيح ، فأجبت قائلاً: ربما كان ذلك نتيجة لما حدث في أبو موسى ، فردَّ عليَّ قائلاً: كل الذي حدث في جزيرة أبو موسى هو أن الحكومة الإيرانية نصبت على ساحل الجزيرة فئاراً لإرشاد السفن وقد سارعنا لإزالته وانتهى الأمر . قلت له لقد حدث شيء مشابه في الجنوب العربي^(١) عندما هاجمت بعض القوات اليمنية الشمالية بعض قرى الجنوب ، وقامت طائراتكم المرابطة في عدن بقصف مدينة حريب^(٢) انتقاماً ، وكانت حجتكم أنكم مسؤولون عن حماية الجنوب العربي وفقاً للمعاهدات التي بينكم وبين سلاطين المنطقة ، ولهذا كان العرب ينتظرون منكم موقفاً يتناسب مع معاهدة الحماية التي بينكم وبين إمارة الشارقة عندما تصرفت إيران هذا التصرف ، ولو بتقديم مذكرة احتجاج مثلاً ، فردَّ عليَّ قائلاً: إن إيران بالنسبة لنا دولة صديقة ولا نرغب في أن نشير المشاكل معها ، وقد اكتفينا برفع الفئار كما أخبرتك واعتبرنا القضية منتهية .

ثم استعدنا الحديث حول موضوع بعثة الجامعة ، وكنت أحاول جهدي إزالة الشكوك من ذهنه ، وكنت أدرك خوفه من تغلغل النفوذ المصري الناصري عن طريق هذه البعثة حيث كانت الظروف في تلك الأيام مشحونة بالتوتر ، فالجرب قائمة في اليمن الشمالية ، والقوات المصرية تحرض على الثورة في جنوب اليمن لاسيما في مناطق الحدود . وأذكر أن الرئيس عبدالناصر حمل حملة شعواء في إحدى خطبه على الإنجليز بعد قصفهم لمدينة حريب اليمنية ، ويقال إنه قتل من جراء ذلك القصف عدد من الجنود المصريين الذين كانوا يرابطون في إحدى قلاع المدينة ، وأذكر كلمة قالها الرئيس عبدالناصر في إحدى خطبه باللهجة العامية المصرية بوقتها «إذا هم

(١) جمهورية اليمن الشعبية كما كانت تسمى في الماضي .

(٢) مدينة حريب تتبع الجمهورية العربية اليمنية ، وكانت ترابط فيها بعض القوات المصرية ، وهي قريبة من الحدود بين اليمن الشمالي والجنوبي .

ضربونا في حته فسنضربهم في ستين حته» .

كذلك فإن للإنجليز ذكريات مرّة مع عبدالناصر في حملته الدعائية القوية في أثناء حرب السويس التي تضاءلت بعدها هيبة بريطانيا من جراء تلك الحرب وتلك الحملات الإعلامية كما هو معروف .

وعلى ذكر حرب السويس فإن أهالي دبي أطلقوا اسم «بورسعيد» على أحد الأحياء الجديدة في مدينتهم انتصاراً للمدينة وتحدياً للسلطات البريطانية في المنطقة ، وهذا الشيء له مغزاه بالنسبة لبريطانيا ، وكانت كل هذه الخلفيات مجتمعة هي السبب في تخوف البريطانيين من اتّساع نطاق الاتصالات العربية بمنطقة الخليج ، ولكن تمثيل الكويت والسعودية في اللجنة جعل من الصعب على البريطانيين وضع العراقيل في سبيل البعثة ، كذلك فإن نظام الحكم في العراق في ذلك الوقت لم يكن يميل إلى التطرف المكشوف .

وبعد هذا الحديث الهام مع السير وليام لوس الرجل السياسي الداهية والمجربّ القدير خرجت من عنده وأنا مطمئن إلى أن الضوء الأخضر قد فتح أمام البعثة ، وقد تأكّد ذلك لي عند مقابلتي لحكام المنطقة فيما بعد في أثناء جولتي في المنطقة كما سيأتي ذكره .

بعد خروجي من عند المقيم توجهت رأساً إلى المطار فوجدت الشيخ محمد بن مبارك في انتظاري فأخبرته بما جرى من حديث بيني وبين المقيم السياسي لكي ينقله بدوره للشيخ عيسى وكنت قد ودعته واستأذنت بالسفر صباح ذلك اليوم قبل مقابلة المقيم السياسي كما ذكرت . وكان الحديث مع السير وليام باللغة الإنكليزية .

وصلت إلى مطار الدوحة صباح الإثنين ٢٢ / ٦ / ١٩٦٤م وكان في استقبالني أحد الموظفين من إخواننا العرب ، وأظنه فلسطينياً ، ومن المطار توجهنا إلى الفندق ، وأخبرني هذا الموظف بأن الشيخ أحمد سيقابلني صباح اليوم التالي .

قابلت الشيخ أحمد بن ثاني حاكم قطر في ذلك الوقت ، في صباح اليوم التالي كما كان مقرراً ، وكان الاستقبال عادياً وفاتراً بخلاف الاستقبال الودي الذي قوبلت به في البحرين ، فسلمته الرسالة وشرحت له شيئاً عن بعثة الجامعة والغاية من الزيارة ، كما أخبرته عن اجتماعي بالمقيم السياسي بالبحرين ، وأخبرته عن رغبتني في السفر إلى دبي في ذلك اليوم ، فقال لي ما دمت مسافراً هذا اليوم إلى دبي فسنرسل لك جواب الرسالة إلى هناك .

قلت له بما أنني سأمر في مطار الدوحة في أثناء عودتي فأرجو إذا كان بالإمكان أن أجد الجواب في المطار ، فقال وهو كذلك ، ثم ودعته وتوجهت في طريقي إلى المطار . وصلت إلى دبي ظهر ذلك اليوم الأربعاء ٢٤ / ٦ / ١٩٦٤م فوجدت في استقبالي في المطار أعضاء مكتب دولة الكويت في دبي والسيد أحمد عبدالله موسى مدير مكتب سمو الشيخ راشد ، وقد أخبرني أن الشيخ راشداً سيقابلني بعد الظهر .

وفي الوقت المحدد ذهبت إلى قصر الشيخ راشد في منطقة زعبيل فوجدت السيد أحمد موسى عند مدخل الديوان ، ثم خرج الشيخ راشد فاستقبلني استقبالاً حاراً كعادته في كل مرة أزوره ، والشيخ راشد مشهور بحبه للبساطة ويكره التعقيدات والرسميات الجوفاء ، وهو رجل عملي واقعي يرتاح قليلاً ويعمل كثيراً ، وقد شهدت دبي على يده نهضة عمرانية واسعة بالرغم من إمكانات البلد المحدودة في ذلك الوقت .

جلسنا نتحدث عن موضوع بعثة الجامعة فسلمته الرسالة فقرأها ، ثم أخبرته عن مقابلتني للسير وليام وما جرى فيها من حوار ، فأخبرني بأنه موافق على مجيء البعثة دون تردد ، وما أدري إذا كانت دار المقيم السياسي في البحرين قد بعثت بتعليماتها إلى جميع المعتمدين في المنطقة لكي يبلغوا بوجهة نظر الحكومة البريطانية إلى الحكام ، وأعتقد أنهم فعلوا ذلك بالنظر للتجاوب غير المتحفظ الذي وجدته عند الحكام على

خلاف عاداتهم في مثل هذه الأمور الهامة الحساسة والتي لها مساس بالسياسة الخارجية في المنطقة ، وهنا ظهرت أهمية لقائي مع السير وليام في البحرين ، فلولا تلك المقابلة والتفاهم الذي تم فيها لما مرت الأمور بالسهولة التي مرت بها .

وفي مجال حديثي مع الشيخ راشد قلت لسموه : لا بد لي من السفر إلى أبوظبي لمقابلة الشيخ شخبوط حاكم أبوظبي في ذلك الوقت ، وقلت له أيضاً : بما أن الشيخ شخبوط له مزاج خاص ولم يسبق لي أن قابلته في الماضي ، فإني أطمع في نصيحتك ومساعدتك لإنجاح مهمتي ، وقبل أن أتم حديثي نادى على السيد أحمد الموسى وقال له بالحرف : «اتصل بثاني العبدالله وقل له لكي يهيبى نفسه للسفر مع بدر إلى أبوظبي لمقابلة الشيخ شخبوط» .

والسيد ثاني العبدالله رجل من خيرة رجال المنطقة ويتمتع بثقة الكثيرين من أبناء البلاد ، ويقيم في دبي ، وقد اشتهر بحبه لعمل الخير ، وهو صديق حميم للشيخ راشد والشيخ شخبوط ، حيث يزوره من حين إلى آخر ، وقد شغل رئاسة المجلس الوطني في دولة الإمارات العربية لفترة من الوقت ، وقد أثلج صدرى اختيار الشيخ راشد لهذا الرجل الطيب لكي يرافقني في هذه السفارة ، كذلك فإن الشيخ أمر السيد أحمد الموسى بأن يبرق للشيخ شخبوط ليخبره بموعد سفرنا إلى أبوظبي كما أمره بأن يحجز لنا مقعدين على الطائرة المسافرة يوم الجمعة ٢٦ / ٦ / ١٩٦٤ م .

الحقيقة لقد غمرني الشيخ راشد بلطفه ومكارم أخلاقه بهذه البادرة الخيرة ، فخرجت من عنده وأنا مطمئن إلى نجاح المهمة .

وفي مساء ذلك اليوم ذهبت إلى إمارة الشارقة القريبة من دبي للسلام على حاكمها الشيخ صقر بن سلطان القاسمي وتسليمه الرسالة ، فاستقبلني استقبالاً طيباً ، وجرى الحديث حول موضوع زيارة البعثة ، فرحّب بالزيارة .

والشيخ صقر يحمل أفكاراً متحررة وهو شاعر وأديب ، كثير الأسفار وله مكتبة

عامرة بأنواع الكتب الأدبية . ودخل إمارة الشارقة الرئيسي يأتي عن طريق ما تقدمه بريطانيا سنوياً من معونة مالية قدرها مئة وعشرة آلاف جنيه إسترليني مقابل استعمال مطار الشارقة كقاعدة بريطانية وحوالي ثلاثة آلاف جندي ويضع أسراب من الطائرات العسكرية ، وقد انتهت هذه الاتفاقية في عهد الاستقلال وانضمام الشارقة إلى دولة الإمارات العربية عام ١٩٧١ م . وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشيخ صقراً هو أول حاكم في هذه المنطقة طلب مساعدة الكويت لفتح أول مدرسة نظامية في بلده ، وكان ذلك في عام ١٩٥٣ م ، وقد لبّت الكويت طلبه ، وتلى ذلك مدرسة أخرى في دبي بعد ذلك ، ثم استمر فتح المدارس الكويتية حتى وصل عددها حوالي الأربعين بين ابتدائية وثانوية ، بالإضافة إلى عدة مستشفيات في نهاية المطاف ، وظلّت الكويت تواصل هذه الخدمات حتى العام الدراسي ١٩٧١ - ١٩٧٢ م عندما تسلّمت حكومة الاتحاد هذه المهمة .

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى عجمان وأم القيوين وسلمت الرسائل التي كانت معي إلى الشيخ راشد بن حميد النعيمي حاكم عجمان وإلى الشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القيوين ، وأخبرتهما بخلاصة مهمتي وما قمت به من اتصالات منذ وصولي إلى البحرين ، فرحّب كل منهما بزيارة البعثة ووعدا بالرد على رسالة الأمين العام بالإيجاب وقد كان .

الرحلة إلى أبو ظبي

في صباح يوم الجمعة ٢٦ / ٦ / ١٩٦٤ م سافرت بصحبة السيد ثاني العبدالله إلى أبو ظبي على طائرة شركة الخليج ، وهي من طراز داكوتا ، وبعد أكثر من نصف ساعة بقليل حامت الطائرة فوق جزيرة أبو ظبي وكانت البيوت البسيطة ، وأكثرها أكواخ صنعت من سعف النخيل منتشرة هنا وهناك ، كما حامت الطائرة فوق بعض المباني القليلة على الشاطئ والتي تبين أنها مبنية حديثاً ، ثم مرّت فوق قصر الشيخ الوحيد

وهو عبارة عن قلعة قديمة لها أربعة أبراج ومحاطة بأسوار عالية ، ثم هبطت الطائرة نحو أرض النزول مثيرة الغبار لعدم وجود مدرج معبد بالمستوى المطلوب ، ثم وقفت أمام بناء صغير من الطين ويشتمل على بعض الغرف^(١) ، وعلمنا أنه هو مركز الدوائر الرسمية من جمارك وجوازات وغيرها . وعند نزولنا من الطائرة تقدم نحوها شخص كان في الانتظار علمت من السيد ثاني فيما بعد أنه يدعى السيد عبدالله وهو سكرتير الشيخ شخبوط الخاص ، فسلم علينا ورافقنا في السيارة إلى دار الضيافة وهي من الأبنية التي بنيت حديثاً ، ومن ينظر إليها بإمعان يلاحظ أنها بنيت على عجل وبقدر قليل من الإخلاص في العمل وربما الكثير من المال ، كما كان يحدث في الكويت في أوائل الخمسينات عندما كانت الحاجة ملحة إلى الأبنية بسبب التوسع السريع في المرافق ، وكان بين دار الضيافة والقصر فسحة واسعة من الأرض وبها بعض الآبار وشاهدنا بعض الجمال بالقرب من المكان .

لقد أخبرنا السيد عبدالله أن الشيخ شخبوطاً ينتظرنا في مجلسه ، فتوجهنا معه وحملت معي رسالة الأمين العام ووصلنا إلى القصر الذي شاهدناه من الجو ودخلنا من بابه الواسع ثم انعطفنا نحو اليمين حيث الدرج الموصل إلى مجلس الشيخ في الطابق الأول ، فدخلناه ووجدنا الشيخ وسط المجلس الذي كان في غاية البساطة في الفرش والأثاث ، فسلمنا عليه وجلسنا متقابلين أنا والسيد ثاني على مقربة منه ، فرحب بنا بصوت منخفض . كان في حوالي الستين من عمره نحيل الجسم شاحب الوجه ويرتدي نظارات سوداء ، وكان في المجلس أيضاً بعض المقربين من الشيخ الذين انسحبوا بعد دخولنا بقليل ، عندها قام السيد ثاني العبدالله من مجلسه وتقدم نحوه وجلس بقربه وأسر بأذنه ببعض كلمات لم أسمعها وتبادلا الحديث فترة قصيرة ، ثم عاد ثاني إلى مكانه ، وفهمت بإشارة منه أن أتقدم بالرسالة ، فنهضت من مكاني

(١) راجع الصورة في الملحق .

واقتربت من الشيخ ، وأشار عليّ بالجلوس قربه ، فسلمت له الرسالة وأعدت نفس الموضوعات التي سبق وأثرتها مع الحكام الذين قابلتهم ، فقال بعض الكلمات التي فهمت منها أنه موافق على الزيارة ، وكانت ملامح وجهه تدل على الرضا ، فانتهزت الفرصة وأخبرته بأن الطائرة ستغادر بعد الظهر ، ولهذا فإني أفضل العودة بها إذا سمح لي سموه بذلك ، فأبدى موافقته وأضاف أن الرد على الرسالة سيرسله إما لدار الضيافة أو إلى المطار ، فشكرته على هذا التكريم الذي غمرنا به واستأذنا مودعين ، وعدنا إلى دار الضيافة لتناول طعام الغداء ، وبعد فترة من الراحة توجهنا إلى المطار حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت حرارة الجو على أشدها في تلك الساعة ، ولم أتسلم الرسالة حتى تلك اللحظة ، بقينا بعض الوقت ننتظر شحن أمتعة الركاب التي كانت أمام البناية القديمة في العراء ، ووقفنا عند البناية في جو صيفي ملتهب ، ثم استلمنا جوازات السفر وصعدنا إلى الطائرة ، وكانت الحرارة في داخلها لا تطاق بسبب وقوف الطائرة فترة طويلة في تلك الشمس المحرقة منذ وصولنا ، وعدم وجود أجهزة تكييف في داخل تلك الطائرة الصغيرة ، وقبل إغلاق باب الطائرة استعداداً للإقلاع سمعت قائد الطائرة يتكلم مع غرفة المراقبة باللغة الإنكليزية قائلاً إنه لا يستطيع الانتظار أكثر من دقيقتين لأن جميع الركاب صعدوا إلى الطائرة ، وهي قطعة من الجحيم ! فقلت في نفسي ربما تكون هذه المخابرة تتعلق بالرسالة المنتظرة ، ومضت الدقيقتان ولم يتبين أي شيء وحلقت الطائرة عائدة إلى دبي .

والواقع أنني كنت حريصاً على أن تكون الرسالة معي ليزيد اطمئناني ، ولكني بقيت متفائلاً لاسيما وأن ذلك اليوم كان يوم الجمعة والدوائر معطلة .

وصلنا إلى دبي وذهب صاحبي إلى بيته وذهبت أنا إلى الفندق الوحيد في دبي ، وكان الفندق الثاني في دور الإنشاء .

وفي حوالي الساعة العاشرة مساءً دق جرس الهاتف في قاعة الفندق وكان

المتكلم السيد ثاني العبدالله فبادرني قائلاً الرسالة وصلت ، فقلت له أي رسالة ، قال رسالة الشيخ شخبوط ! فقلت له كيف وصلت ومن أتى بها فقصّ عليّ القصة التالية :
 أرسل الشيخ شخبوط الرسالة مع أحد السواق إلى المطار ، ولكن السائق وصل بعد إقلاع الطائرة بقليل ، فعاد السائق إلى الشيخ وأخبره بما حدث ، فما كان من الشيخ إلا أن أمر السائق بأن يتوجه إلى دبي لتسليم الرسالة ، وأن يعود إلى أبو ظبي بعد ذلك ، والمسافة هي ثمان ساعات ذهاباً وإياباً بسيارة اللاندروفر ! وكان الانتقال في ذلك الوقت معظمه يتم بسيارات اللاندروفر بسبب وعورة الطرق غير المبلطة والسفر على مثل هذه الطرق شاق ومرهق حيث سيارات الصالون لا تستطيع اجتياز الرمال .

قلت للسيد ثاني حبذا مجيء السائق إلى الفندق ليرتاح هذه الليلة ثم يغادر في الصباح ، فردّ عليّ قائلاً إنه لا يستطيع أن يعصي أمر الشيخ الذي أمره بتسليم الرسالة والعودة حالاً ، وإن هؤلاء الرجال معتادون على قيادة السيارات مسافات طويلة ، ويمثل هذه الحادثة المثيرة السارة انتهت قصة سفرتي الناجحة إلى أبو ظبي والفضل في ذلك يعود إلى الشيخ راشد والسيد ثاني العبدالله كما أسلفت .

ذهبت في صباح اليوم التالي إلى الشيخ راشد لأطلععه على أخبار السفارة ولأشكره على مساعيه الحميدة . وفي مساء ذلك اليوم قابلت الشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم الفجيرة في منزله في دبي وسلمته الرسالة وتكلمنا في موضوع زيارة بعثة الجامعة ، فكان رده إيجابياً وأعرب عن ترحيبه بمجيء البعثة .

وفي صباح اليوم التالي الأحد ٢٨ / ٦ / ١٩٦٤م توجهت إلى رأس الخيمة لمقابلة الحاكم الشيخ صقر بن محمد القاسمي فوجدته في مكتبه مع ولي العهد الشيخ خالد بن صقر ، وهو شاب متعلم دمث الأخلاق ويعتمد عليه والده ويعهد إليه أحياناً بالقيام بأمور هامة في الداخل والخارج .

سلمتهما الرسالة ، وبعد الاطلاع عليها أبديا ترحيبهما بزيارة البعثة واستعدادهما

للتعاون في شتى المجالات ، وقد أخبرت الشيخ صقراً بأن مهمتي على وشك الانتهاء فإذا كان الإمكان أن احصل على الجواب ، فردَّ على الفور بالإيجاب ، ثم اختلى مع ولي عهده لإعداد الجواب ، وخرجت أنا لأقوم بجولة قصيرة في المدينة ، وعند عودتي وجدت الرسالة جاهزة فشكرتهما على هذا التجاوب السريع وعدت إلى دبي . وكانت هذه السفرة كالعادة بواسطة سيارة اللاندروفر ، واستغرقت ثماني ساعات ؛ أربع منها في الذهاب ومثلها في الإياب ! وقد أصبحت مثل هذه الرحلات عادية بالنسبة لي في تلك الأيام عندما كنت أقوم بمهمتي في الإشراف على المعونات الكويتية من بناء مدارس ومستوصفات في الإمارات الست . وكانت أصعب تلك المهمات عندما تكون زيارتي إلى الساحل الشرقي لإمارة الفجيرة ، وكلبا وخورفكان ، حيث الطريق أكثر وعورة لاسيما خلال الوديان المشهورة بوعورتها . (راجع بعض صور تلك الطرق في الملحق) وكانت ترافقي في مثل هذه الرحلات الصعبة سيارة أخرى تحسباً لأي خلل يحدث في السيارة التي أستقلها .

الاثنين ٢٩ / ٦ / ١٩٦٤ م :

ذهبت هذا الصباح إلى الشيخ راشد لأودعه ولأكرر له شكري ولأخبره بعزمي على السفر في ذلك اليوم بعد أن انتهت مهمتي ، فأخبرني أن الشيخ أحمد بن ثاني حاكم قطر اتصل به باللاسلكي يستفسر عن رأيه في موضوع بعثة الجامعة ، وقال الشيخ راشد إنني أخبرت الشيخ أحمد بأننا نرحب بمجيء البعثة ، وأن الشيخ أحمد موافق أيضاً ، وأن الجواب على رسالة الأمين العام ينتظرنني في المطار ، وقد سرنني هذا الخبر الجديد ، ولم تطل إقامتي عند الشيخ راشد ، فودعته شاكرًا ثم توجهت إلى الشارقة حيث كنت على موعد مع الشيخ صقر بن سلطان القاسمي لأتناول طعام الغداء على مائدته حيث إن سفر الطائرة الكويتية المسافرة إلى الكويت ستقلع من مطار الشارقة بعد ظهر ذلك اليوم . ولما وصلت إلى الشارقة وجدت الرسالة الجوابية جاهزة

فاستلمتها منه شاكراً ، وبعد تناول الغداء كررت شكري للشيخ صقر وودعته وتوجهت إلى المطار مختتماً تلك الرحلة المثيرة المتعبة في الوقت نفسه ، ولكن نجاح المهمة أنساني كل تعب تعرضت له في تلك الرحلة التي دامت عشرة أيام .

نزلت الطائرة بالدوحة عاصمة قطر ووجدت رسالة الشيخ أحمد بانتظاري مع أحد المسؤولين ، وواصلت الطائرة السفر إلى الكويت . وفي الكويت أطلعت المسؤولين على تفاصيل الرحلة وعلى رأسهم الشيخ عبدالله السالم رحمه الله . وبدأت بكتابة تقرير عن الرحلة لتقديمه للجامعة العربية ، وحرصت على أن أجعل التقرير مختصراً ومقتصراً على الأمور الهامة ، مثل عدد الإمارات وحكامها ومشاكل الهجرة وغيرها ، حيث مثل هذه المعلومات يجهلها الكثيرون من العرب ، فمثلاً عندما وضع الإيرانيون الفئران على جزيرة أبو موسى ، كان الكثير منهم لا يعرف أين تقع أبو موسى ، وبعضهم لم يسمع بها من قبل ، وبعضهم لا يعرف لمن تتبع تلك الجزيرة . وأتذكر أنه عندما حدث حادث الفئران هذا نقلت أخباره محطات الإذاعة والصحافة العربية كل محطة أو صحيفة على هواها ، فمنهم من قال عن إنزال جنود إيرانيين ثم انسحابهم فيما بعد ، وآخرون قالوا : إن الاحتلال تم فعلاً ، وقد وزعت الجامعة العربية مذكرة سرية جاءت من دولة عربية بناء على تقرير تلقته تلك الدولة من سفارتها في الكويت ، وقد ذكر في التقرير عن احتلال السلطات الإيرانية للجزيرة ! كذلك فإن بعضهم سمّاها جزيرة عين أبو موسى إلى آخر هذا النوع من التخبط الذي يؤسف له . وأستطيع أن أقول بتواضع إن أدق تقرير وصل إلى مقر الجامعة العربية هو التقرير الذي أرسلته وزارة خارجية دولة الكويت بناء على ما وصلها من مكتب دولة الكويت في دبي ، ويقول التقرير بالحرف : (خرجت سفينة من الشارقة عليها اثنان من الفنيين البريطانيين وصلا من البحرين ويرافقهم السيد إبراهيم المدفع - وهو من وجهاء الشارقة وسكرتير الشيخ صقر - وعدد من رجال حكومة الشارقة ، وكان ذلك بتاريخ

١٨ أبريل ١٩٦٤ فقصدا موضع (البويه) الفنار واقتلعوها دون أن يعترضهم أحد ، وقد كتب على الفنار - مجلس الوزراء الشاهنشاهي «مصلحة خفر السواحل والموانئ» .

هذا أهم ما جاء في تقرير مكتبنا ، وربما كانت هذه المحاولة من قبل السلطات الإيرانية من أجل جس نبض ردود الفعل العربية والبريطانية وتقييمها التقييم الصحيح لما سيكون عليه الحال في المستقبل ، وقد يكون لهذه العملية صلة باحتلال الجزيرة عام ١٩٧١م مع جزيرتي طنط الكبرى والصغرى التابعتين لإمارة رأس الخيمة بعد إعلان بريطانيا التخلي عن حمايتها للإمارات .

السفر إلى القاهرة :

توجهت إلى القاهرة يوم ٩ / ٧ / ١٩٦٤م وكنت أحمل معي أجوبة الأمراء التسعة مع التقرير الذي كتبه عن الرحلة ، والذي رأت الجامعة العربية أن توزعه فيما بعد على مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية الثاني الذي تقرر عقده في شهر سبتمبر في مدينة الإسكندرية ، حيث كان موضوع الخليج مدرجاً على جدول أعمال المؤتمر . وفي اليوم التالي ، وكان يوم جمعة ، ذهبت بصحبة الدكتور سيد نوفل إلى منزل السيد عبدالخالق حسونة ، وبعد السلام عليه شرحت له باختصار مراحل الرحلة ، ثم سلمته التقرير والرسائل ، وقد سرّبها كثيراً ، والحقيقة أنه لم يكن يتوقع تلك النتائج المشجعة حيث أصبح سفر بعثة الجامعة العربية إلى الخليج في حكم المؤكّد ، وبدأت الأمانة التابعة للجامعة العربية تعد العدة لهذه الرحلة التي تعتبر الأولى في تاريخها .

هذه هي الناحية المفرحة في الموضوع ، أما الناحية المزعجة والتي كانت لنا كالكابوس خلال تلك الفترة ، فأقول بكل أسف هو موقف الصحافة والإذاعات العربية التي لم تكن على مستوى المسؤولية ، أو مستوى الوعي الإعلامي والإدراك

للظروف الدقيقة التي كنا نمر بها ، بل كان مهمتها مجرد البحث عن العبارات المثيرة والمتشجعة التي ألفناها في معظم الصحف والإذاعات العربية .

ولأضرب مثلاً على ذلك ؛ فقد أذاعت محطة صوت العرب بعد ظهر يوم ٤ / ٧ / ١٩٦٤م الخبر التالي : «تجتمع في مقر الجامعة العربية يوم السبت القادم البعثة العربية التي تضم ممثلي ملوك ورؤساء السعودية والكويت والعراق برئاسة السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية لدراسة تقرير أعضاء اللجنة عن نتائج مباحثاتهم في تسع بلاد عربية من إمارات الخليج العربي والاتفاق على خطة العمل العربية المشتركة لتحرير هذه الإمارات من مؤامرات الاستعمار البريطاني» . وقد نقلت الإذاعة السعودية هذا الخبر بنفس اليوم كما نقلته محطة إذاعة الكويت ، ولكن بأسلوب أخف قليلاً .

وإليك هذا الخبر الذي ظهر في العدد رقم ١٨٣٥ في مجلة روز اليوسف القاهرية : عنوان الخبر : حسونة يطير إلى الخليج .

«من المنتظر أن يطير السيد عبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية إلى بعض إمارات الخليج العربي وقد تردد في الدوائر العربية أن عدداً من دول الجامعة اعتزم التقدم بمشروع لإنشاء مكاتب سياسية للجامعة في بعض إمارات الخليج استعداداً للمعركة الحاسمة التي سيخوضها شعب الجنوب المحتل !!» أي والله هكذا كان يذاع ويكتب . أين هذا الكلام من الحوار الذي جرى بيني وبين السير وليام لوس في البحرين عن مهمة البعثة السلمية ، فلمصلحة من كانت تطلق مثل هذه التصريحات غير المسؤولة والتي كانت بمثابة ألغام تزرع في طريق بعثة الجامعة ، والتي جاءت برداً وسلاماً على قلوب الخصوم والأعداء والمتربصين بالأمة العربية . ومع الأسف الشديد فقد كان لهذه التعليقات وأمثالها أثرها السلبي على مسيرة البعثة ومشاريعها في مجال التعليم والصحة والبنى التحتية للمنطقة . كذلك كان من نتائجها عزل الشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة عام ١٩٦٥م كما سيأتي ذكره .

الاجتماعي الثاني :

تم في يوم ١٣ / ٧ / ١٩٦٤م الاجتماع الثاني للجنة بكامل أعضائها ، وقد شرحت للجنة تفاصيل الرحلة التي قمت بها للخليج ، ووزعت على الأعضاء نسخاً من التقرير ، كما جرى بحث موضوع الصحف والإذاعات العربية ، وقد وعد الأعضاء بإثارة هذا الموضوع مع المسؤولين كل في بلده ، ثم تأجل الاجتماع لليوم الثاني ، وصدر على أثره بيان يلخص ما دار في الاجتماعين عن موضوع الرحلة ، وتأجل الاجتماع إلى ما قبل انعقاد مؤتمر القمة .

الاجتماع الثالث :

عدنا إلى الاجتماع في القاهرة في ٣١ / ٨ / ١٩٦٤م ، وذلك ضمن اجتماع وزراء الخارجية التحضيري والذي سبق مؤتمر الإسكندرية للملوك والرؤساء . كما انتهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في ٣ / ٩ / ١٩٦٤م وتقرر فيه أن يؤجل موضوع الخليج حتى تعود بعثة الجامعة من رحلتها إلى الخليج الذي تقرر أن تتم في شهر أكتوبر ، وتوجهنا إلى الإسكندرية للاشتراك في المؤتمر الذي عقد في الفترة من ٥ إلى ١١ سبتمبر من ذلك العام ، ول مؤتمر القمة قصص وأحاديث تخرج عن نطاق هذا البحث ، ولكن أهم ما تمخض عنه المؤتمر هو إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية والموافقة على إنشاء جيش فلسطين ، وكان السيد أحمد الشقيري يمثل الجانب الفلسطيني في المؤتمر . كذلك من المواضيع الهامة التي نوقشت في المؤتمر الحفاظ على مياه نهر الأردن التي تحاول إسرائيل الاستيلاء عليها ، وتخصيص الأموال اللازمة لإنشاء السدود مثل سد الخيبة ورفض مشروع تقسيم مياه نهر الأردن الذي أطلق عليه (مشروع جونسون) الذي تقدمت به الولايات المتحدة ، مشاريع وقرارات تتخذ ولكن لا تنفذ . وكان نجم المؤتمر الملك فيصل الذي كان وقتها ولياً للعهد وحضر نيابة عن أخيه الملك سعود وترأس المؤتمر على اعتبار أن رئاسة تلك الدورة كانت معقودة للسعودية . وقد أظهر

الملك فيصل رحمه الله كفاءة ومقدرة في خطبة افتتاح الدورة التي ارتجلها وتطرق فيها إلى أمور الساعة في تلك الأيام ، وأثارت إعجاب السامعين . وكان وفد الكويت برئاسة صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح رحمه الله ، وعضوية كل من الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية ، والأستاذ عبدالعزيز حسين وزير الدولة ، خالد سليمان العدساني سفير دولة الكويت في القاهرة ، ومحمد أحمد الغانم سفير الكويت في بيروت ، وراشد عبدالعزيز الراشد مندوب الكويت الدائم في الأمم المتحدة ، وبدر خالد البدر الممثل الشخصي لحضرة صاحب السمو في لجنة الخليج التابعة للجامعة العربية .

وصول البعثة إلى الكويت في طريقها إلى الخليج

مرّت الأيام بسرعة بعد مؤتمر الإسكندرية وجاء شهر أكتوبر وهو الشهر الذي تقرر أن تتم فيه الزيارة لعدة أسباب ، أهمها اعتدال الطقس في المنطقة ثم عودة بعض الحكام والشخصيات من رحلة الصيف ، حيث اعتاد بعضهم أن يقضي فترة من الصيف الطويل في الخارج .

وفي العشرين من أكتوبر وصل إلى الكويت السيد عبدالخالق حسونة والدكتور سيد نوفل ، وفي يوم ٢١ / ١٠ / ١٩٦٤م اجتمعت البعثة بكامل أعضائها في الكويت ، وفي صباح ذلك اليوم ذهبنا للسلام على الأمير الشيخ عبدالله السالم رحمه الله ، وقد تحدث السيد عبدالخالق حسونة في الاجتماع وشرح للأمير مهمة اللجنة ، فتمنى لها التوفيق والنجاح .

وفي صباح اليوم التالي الموافق ٢٢ / ١٠ / ١٩٦٤م توجهت البعثة إلى البحرين في أولى مهماتها ، وعند وصولنا إلى مطار البحرين كان المطار يغص بالمستقبلين ، وعلى

رأسهم سمو الشيخ حمد بن عيسى ولي العهد ، وأعضاء الحكومة وكبار العائلة الحاكمة والمعتمد البريطاني وعدد كبير من أعيان البحرين وكبار التجار ورجال الدين . وبعد استراحة قصيرة في قاعة المطار توجهت البعثة للسلام على صاحب السمو الشيخ عيسى حاكم البحرين . وفي المساء أقام سموه حفلة عشاء كبيرة على شرف البعثة حضرها عدد كبير من أفراد العائلة الحاكمة وأعيان البلد وكبار الجاليات الأجنبية وكبار موظفي الحكومة .

وفي صباح اليوم الثاني اجتمعت البعثة بسمو الشيخ عيسى ، ويعدد من أعضاء حكومته وشرحت لهم الغرض من الزيارة .

والواقع أن زيارة البعثة للبحرين وقطر وأبوظبي كانت في مجملها لتقوية أواصر الروابط الأخوية وعرضاً لاهتمام الدول العربية بمنطقة الخليج ، واعتبار المنطقة جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية وقد أدت البعثة مهمتها في هذا المجال على أحسن وجه ، ولكن مهمة البعثة الرئيسية كانت مركزة على إمارات ساحل عُمان الست وهي : دبي ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، ورأس الخيمة ، والفجيرة . وبالإضافة إلى اهتمام البعثة بالمنطقة عموماً كانت النية معقودة على تقديم مساعدات مادية لتلك الإمارات الست ، كما سيأتي ذكره فيما بعد . هذا عدا تقديم النصح والتحذير من الأخطار الذي كانت تتعرض لها المنطقة جميعها في ذلك الوقت بسبب تفاقم الهجرة الأجنبية .

قضت البعثة يومها الثاني في البحرين في التجوال في المدينة وزيارة الأماكن الأثرية ، وبعد ظهر ذلك اليوم لبّت البعثة دعوة المعتمد البريطاني لتناول الشاي في بيته ، وكانت الدعوة مختصرة على بعض الشخصيات البحرينية .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أعضاء البعثة عند تجوالهم في شوارع العاصمة - المنامة - واطلاعهم على المرافق العامة لفت انتباههم نظافة الشوارع ووفرة المرافق

الحضارية مثل المطار والميناء البحري والدوائر الحكومية . وفي لقاء مع مدير دائرة المالية في ذلك الوقت السيد محمود العلوي وجه له أحد أعضاء البعثة سؤالاً عن مقدار ميزانية البحرين السنوية ، فكان الرد تسعة ملايين دينار بحريني أي ستة ملايين دينار كويتي ! وقد فوجئ الجميع بهذا الرقم المتواضع بعد مشاهدة تلك الإنجازات التي أشرنا إليها ، وهذا دليل على أن المال القليل مع التدبير أنفع وأكثر بركة من المال الكثير مع التبذير .

وفي يوم السبت ٢٤ من أكتوبر غادرت البعثة متوجهة إلى قطر بطائرة خاصة وضعها تحت تصرف البعثة الشيخ عيسى ، وعند وصولنا إلى مطار الدوحة وجدنا جموعاً غفيرة من المستقبلين وعلى رأسهم سمو الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد في ذلك الوقت ، وكان الشيخ أحمد بن علي الحاكم في ذلك الوقت غائباً في دبي ، وقد نزلت البعثة في قصر الضيافة المسمى بقصر المرمر وهو قصر فخم ينزل فيه عادة كبار الشخصيات . وفي مساء ذلك اليوم أقام سمو الشيخ خليفة حفلة عشاء كبرى على شرف البعثة حضرها عدد كبير من عليّة القوم .

وكان صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بالإضافة إلى ولايته للعهد يتولى الإشراف على كثير من الدوائر الحكومية لاسيما دائرة المالية ، فكان هو الحاكم الفعلي للبلاد ، وذلك بسبب كثرة تغيب الحاكم الشيخ أحمد بن علي آل ثاني - الذي هو ابن عمّه - عن البلاد لاسيما رحلاته الكثيرة إلى دبي لأنه متزوج من ابنة الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي . وكانت معظم هذه الرحلات تتم عن طريق البحر على ظهر يخته الخاص ، حيث بنى قصراً منيفاً هناك ، وعلى ما أذكر فإنه حينما حان موعد إعلان استقلال قطر في صيف ١٩٧١م وإنهاء معاهدة الحماية كان الشيخ أحمد في سويسرا وقد أناب عنه الشيخ خليفة لتوقيع الاتفاقية ، كما وقّعها من الجانب البريطاني السير جوفري آرثر أحد كبار موظفي وزارة الخارجية والمقيم السياسي

بالخليج بدرجة سفير والمختص بشؤون الخليج في ذلك الوقت ، وأظنه فيما بعد مرّ على جنيف وقابل الشيخ أحمد في طريق عودته إلى لندن وعرض عليه نصوص الاتفاقية وربما وقّع عليها الشيخ أحمد .

وفي صباح اليوم الثاني حضر الشيخ خليفة إلى قصر الضيافة واجتمع بأعضاء البعثة ، وجرت مع سموه أحاديث شاملة حول مهمة البعثة وعلاقة الإمارات بباقي الدول العربية . وبعد ظهر ذلك اليوم أقام الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني وكان رئيساً لدائرة المعارف حفلة شاي كبرى للبعثة ، أما في المساء فتناولت البعثة طعام العشاء على مأدبة الشيخ علي بن ثاني والد الحاكم .

وفي يوم الإثنين ٢٦ من أكتوبر توجهت البعثة إلى أبو ظبي بطائرة خاصة وضعها تحت تصرفها الشيخ خليفة بن حمد ولي العهد ونائب الحاكم ، وعند وصولنا إلى أبو ظبي ووجدنا في استقبالنا مجموعة من الشخصيات والمعتمد البريطاني ، وكان على رأس المستقبلين الشيخ مبارك بن محمد قائد قوة دفاع أبو ظبي ، وكذلك الشيخ أحمد بن حامد الذي أصبح فيما بعد وزيراً للإعلام . وتوجهنا حال وصولنا إلى مجلس الشيخ شخبوط للسلام عليه ، وكان الاستقبال ودياً ، وتكلم فيه الأمين العام عن مهمة البعثة . وبعد هذه المقابلة الودية توجهنا إلى دار الضيافة لتناول طعام الغداء والراحة ، وبعد الظهر قمنا بجولة في المدينة التي كانت في بداية نهضتها العمرانية حيث كانت واردات البلد من دخل النفط في تلك السنة حوالي خمسة ملايين جنيه إسترليني . وفي المساء تناولنا طعام العشاء على مأدبة الشيخ شخبوط ، حضرها عدد من أفراد العائلة الحاكمة ووجهاء البلد وبعض الشخصيات الأجنبية . وفي اليوم الثاني قمنا برحلة بحرية على طول ساحل جزيرة أبو ظبي ، وكما ذكرت سابقاً لم يكن في أبو ظبي شيء يلفت النظر على طول ذلك الساحل سوى تلك الرمال الفضية النظيفة التي لم تلوثها وسائل الحضارة بعد ، كما كنا نشاهد بين لحظة وأخرى بعض البيوت التي كانت في دور الإنشاء . وقد انتهزت الفرصة وصوّرت فلماً سينمائياً ملوناً لذلك

الساحل الجميل ، كما التقطت صوراً للشيخ شخبوط مع أفراد البعثة ، وكنت أنا المصورّ الوحيد لرحلة أبو ظبي حيث لم نر أي مصور هناك بخلاف بقية الإمارات . وتناولنا طعام الغداء في ذلك اليوم على مائدة المعتمد البريطاني .

وفي أثناء إقامتنا في أبو ظبي عرضت علينا فكرة زيارة واحة البريمي حيث كان الشيخ زايد بن سلطان حاكم المنطقة في ذلك الوقت ، وكان أفراد البعثة قد ترددوا في قبول الدعوة مجازاة لأحد أعضائها السفير السعودي السيد محمد منصور الرميح الذي ربما تسبب له الزيارة شيئاً من الإحراج بالنظر للخلاف القائم في ذلك الوقت حول الواحة بين إمارة أبو ظبي والمملكة العربية السعودية . أما بالنسبة لي فقد واتتني فرصة أخرى ، وذلك في شهر مايو عام ١٩٦٦م عندما قام حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح بزيارة إمارات الخليج العربي ومنها أبو ظبي ، حيث وجه الشيخ زايد الدعوة إلى سمو الأمير بزيارة الواحة وتناول طعام الغداء على مائدته ، وكان لا يزال نائباً للحاكم (١) .

وهنا لا بد من وقفة عابرة للتحدث عن واحة البريمي لأهميتها ، ويسبب ما جرى بشأنها من جدل وخلاف استمر عشرات السنين وانتهى بفضل حكمة وسعة إدراك كل من العاهلين العربيين جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله وسمو الشيخ زايد بن سلطان وحرصهما على أن لا تطغى المصالح الإقليمية الضيقة على المصالح الوطنية الكبرى .

اشتهرت واحة البريمي في الماضي بمركزها الاستراتيجي ومركزها التجاري الهام الذي تلتقي عنده طرق القوافل ؛ حيث تتفرع عندها الطرق إلى كل من أبو ظبي ودبي وصحار على خليج عُمان وعبرى في داخل عُمان ، وتبتعد عن مدينة أبو ظبي بحوالي خمسة وسبعين ميلاً ، وهي تقريباً نفس المسافة التي تفصلها عن دبي والشارقة

(١) تولى الشيخ زايد زمام الحكم في شهر آب (أغسطس) ١٩٦٦م .

وسواحل خليج عُمان . وتشتمل واحة البريمي على عدة قرى ، بعضها تابع لمنطقة عُمان وبعضها لإمارة أبو ظبي . وتشتهر واحة البريمي بمياهها الجارية في قنوات تحت الأرض وتسمى الأفلاج ومفردها فلج ، وتأتي هذه المياه من الجبال والمرتفعات القريبة منها ، ولا أحد يعرف على وجه التحديد متى بنيت هذه القنوات ، والمؤكد أنها معروفة منذ أقدم العصور . ولا شك أن الطريقة التي صنعت بها هذه القنوات وبقائها صالحة طيلة هذه السنوات الطويلة تدل على ما كانت تتمتع به المنطقة من حضارة وتقدم في العصور الماضية . وبسبب وفرة المياه فقد ازدهرت الزراعة في المنطقة لاسيما زراعة النخيل والفواكه والخضروات . وهذه الواحات وأمثالها تجتذب الكثير من سكان الساحل أيام الصيف ، وذلك تخلصاً من الرطوبة التي تزداد نسبتها على السواحل ، كذلك ازدياد حاجة الناس إلى المياه العذبة أيام الصيف يجعل لهذه الواحات منزلة خاصة ولاسيما وقت جني ثمار النخيل حيث يجد الوافدون الماء والغذاء ، ومن الواحات المشهورة في أبو ظبي واحة ليوا ، وتقع على مشارف الربع الخالي في الجهة الغربية من البلاد ، وبالنسبة لأبو ظبي فقد اشتهرت المنطقة باسم (العين) .

السفر إلى دبي :

غادرنا أبو ظبي يوم الأربعاء ٢٨ من أكتوبر متوجهين إلى دبي بطائرة خاصة وضعها تحت تصرفنا الشيخ شخبوط^(١) ، وعند وصولنا إلى مطار دبي بدأت الطائرة تحوم فوق المدينة ، وشاهدنا من الجو الجموع الهائلة على أرض المطار ، وما أن حطت الطائرة على أرض المطار وأوقفت محركاتها حتى ازدحمت ألوف من البشر حول الطائرة ، وكنا نرى قبل نزولنا من الطائرة كيف كان الشيخ راشد بن سعيد حاكم دبي

(١) كانت تنقلنا بطائرات من نوع داكوتا تابعة لطيران الخليج ، وبهذا النوع من الطائرات يمكن النزول على مدارج صغيرة أو أرض عادية منبسطة وغير مبلطة .

وبقية حكام الإمارات يحاولون شق طريقهم نحو سلم الطائرة ، وقد أفلت زمام السيطرة على الجماهير المحتشدة ، حيث لم يكن مطار دبي في ذلك الوقت محاطاً بسياج ، وكانت الجماهير المحتشدة خليط من وجهاء البلد وتجارها وعامة الناس وطلبة المدارس ، حيث أغلقت المدارس والمتاجر في ذلك اليوم ، وقد علّت الهتافات ورفعت أعلام الدول العربية وخاصة علم الجمهورية العربية المتحدة ، وكانت صور الرئيس عبدالناصر أكثر من غيرها بروزاً ، ولا شك بأن أساتذة المدارس المصريين ومن بينهم أعضاء البعثة التعليمية المصرية لعبوا دوراً بارزاً في هذا المجال ، بالإضافة إلى أن الدعاية المصرية وإعجاب الجماهير بشخصية الرئيس عبدالناصر ودور محطة صوت العرب ، كل هذه العناصر مجتمعة لعبت دورها في هذه المظاهرة السلمية الضخمة التي أدهشت المراقبين الأجانب والبريطانيين بصورة خاصة وجعلتهم يحسبون لهذه الظاهرة الجديدة لاسيما الإحساس بالموطنة العربية ألف حساب كما سنرى فيما بعد .

وبعد انتهاء مراسم السلام والاستقبال في المطار توجهنا إلى فندق الواحة الذي يملكه السيد عبدالله الدرويش وهو ثري قطري له نفوذ واسع في المنطقة وهو أول فندق حديث يفتتح في دبي ، حيث كان يوم وصولنا هو يوم افتتاح الفندق ، وكنا أول النزلاء فيه ، وقد اعتبرنا السيد عبدالله ضيوفه في تلك المناسبة . أما من الناحية الرسمية فكانت ضيافتنا موزعة حسب دعوة الأمراء لنا كما سيأتي .

وفي مساء ذلك اليوم قام الشيخ أحمد بن ثاني حاكم قطر في ذلك الوقت بزيارة مجاملة للوفد في الفندق ، كما أقام الشيخ راشد بن سعيد حفلة عشاء كبرى في قصره على شرف الوفد حضرها حكام الإمارات وعدد كبير من الشخصيات ، وكبار الموظفين وعدد من الأجانب .

وفي صباح اليوم الثاني قامت بعثة الجامعة بزيارة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني

وبحثت معه بعض مواضيع الساعة^(١)، ثم تناولنا طعام العشاء على مائدته في قصره المطل على خور دبي . كما كان كبار شخصيات البلد وباقي الإمارات تتوافد على الفندق للاجتماع بالبعثة والتحدث إليها عن كل ما يهم المنطقة بقلوب مفتوحة مفعمة بالأمل والرجاء . وكان الشيخ راشد من أكثرهم تردداً على الفندق ليطمئن بنفسه على راحة الأعضاء .

وفي صباح يوم الجمعة ٣٠ من أكتوبر توجهت بعثة الجامعة بكامل أعضائها إلى إمارة الشارقة التي تبعد عن دبي بحوالي سبعة أميال ، وكان الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الإمارة في ذلك الوقت قد أعدّ العدة لاستقبال البعثة بمهرجان شعبي ورسامي يقارب ما حدث في دبي ، وزيادة منه في إكرام البعثة فقد شيد دار ضيافة صغيرة قريبة من القصر القديم وأطلق عليها اسم الجامعة العربية ، وخصصها لنزول البعثة ، وما إن وصلنا إلى مشارف الشارقة حتى وجدنا الشيخ صقراً مع رجاله وأعيان البلد ينتظرون ومن خلفهم جموع غفيرة من الناس ، منهم من كان يحمل لافتات الترحيب ، كما أن الشارع الرئيسي امتلأ بأقواس كتب عليها شعارات الترحيب وعبارات وطنية وقومية ، وكانت الفرق الشعبية من نساء ورجال يهزجون ويرقصون على قرع الطبول ، وكان يتراءى للرأي أن الشارقة من أقصاها إلى أقصاها خرجت لتحتفل بيوم عظيم لم تكن قد شاهدته من قبل . وعبثاً كنا نحاول شق طريقنا بين هذه

(١) أثار الشيخ أحمد في حديثه معي على مسمع من أعضاء وفد الجامعة ما توجهه صحف الكويت من نقد لشيخ الخليج ، وأن مثل هذا النقد يسيء إلى العلاقات الأخوية بين الكويت وأشقائها في الخليج . وكان ردي عليه ، أن الصحف الكويتية لا تخضع للرقابة ، وأن نقدها يوجه أحياناً لكبار المسؤولين عندنا ، ثم أردف قائلاً : هل من المعقول أن الشيخ عبدالله السالم لا يستطيع أن يمنع صحيفة من شتمنا؟ وهنا تذكرت أسباب الاستقبال الفاتر الذي لاحظته عند مقابلي الأولى له في الدوحة ، وعند عودتي إلى الكويت أخبرني المسؤولين بما دار من حديث مع الشيخ أحمد . وفعلاً فقد استغلت بعض الصحف الكويتية الحرية التي كانت تتمتع بها ، وكانت بعض الأحيان عنيفة في أسلوبها بصورة لم تتعود عليها المنطقة من قبل .

الجموع المتراسة ، وكان رجال الشرطة مع قلتهم يبذلون أقصى الجهود لفتح الطريق أمام سيارات البعثة .

وفي الظهر تناولنا طعام الغداء على مائدة الشيخ صقر حيث لَبَّى الدعوة جميع حكام الإمارات ووجهاء المنطقة وعدد كبير من المواطنين والأجانب ، وقد اجتمعت البعثة ذلك اليوم بالشيخ صقر بصورة رسمية ودار البحث في ذلك الاجتماع حول مهمة البعثة ، وقد أبدى الشيخ صقر استعداداه للتعاون في شتى المجالات ، وكان الشيخ صقر شديد الحماس لمجيء البعثة حيث وجد في قدومها تجسيدا لطموحاته الوطنية والقومية .

قضينا ذلك اليوم بليته في الشارقة ، وفي الصباح توجهنا لزيارة إمارة عجمان والتي تأتي بعد الشارقة مباشرة ، ووجدنا على الحدود سمو شيخ عجمان الوقور راشد بن حميد النعيمي ومعه ولي عهده الشيخ حميد وعدد غفير من المواطنين ، وقد استقبلوا البعثة بأهازيجهم الوطنية ، وكانت الطرق الرئيسية مزينة بأعلام الدول العربية ، وما أن وصلت البعثة إلى قصر الضيافة حتى وجدنا الساحة مملأى بالمواطنين وطلاب المدارس ، وفي أثناء الاستراحة شهدت البعثة وباقي المواطنين سباقاً تقليدياً للجمال العمانية المشهورة . كذلك اجتمعت البعثة بالشيخ راشد بن حميد ونجله الشيخ حميد اجتماعات خاصة وشرحت لهما الغاية من الزيارة ، كما أعرب الأمين العام عن شكره وتقديره للتجاوب والتفاهم الذي تم بين الجميع ، وقد أقام الشيخ راشد حفلة غداء كبرى على شرف البعثة حضرها عدد كبير من شيوخ المنطقة ووجهائها وجمع كبير من المواطنين . وعادت البعثة بعد الظهر بالسيارات إلى دبي .

وفي صباح يوم الأحد الأول من نوفمبر توجهت البعثة من دبي بطريق البحر قاصدة أم القيوين بيخت الشيخ أحمد بن ثاني ، وقد فضلنا الذهاب عن طريق البحر من باب التغيير ثم العودة بطريق البر ، والمسافة بين أم القيوين ودبي تقارب خمسين كيلومتراً تقريباً ، وكان معنا على ظهر اليخت كل من السادة عبدالله الدرويش ،

والسيد أحمد بن سلطان بن سليم أحد كبار الموظفين في دبي ، وقد أصبح وزيراً في دولة الاتحاد فيما بعد ، والسيد محمد الملا أحد كبار التجار ، وقد أصبح وزيراً أيضاً في دولة الاتحاد . وبعد حوالي ثلاث ساعات من الإبحار باننا لنا مشارف مدينة أم القيوين وتقع على الخيران الجميلة ، كما ظهرت لنا عدة سفن شراعية مزينة بالأعلام ومحملة بمئات المواطنين الذين قدموا بهذه السفن للترحيب بنا في عرض البحر ، وقد كان منظرها لا يمكن أن ينسى عندما أحاطت تلك السفن باليخت وهو يتهادى متباطئاً نحو الشاطئ ، كما وجدنا الجموع الغفيرة من المواطنين تنتظر وصولنا وهي تهتف وتلوح بالأعلام ، وكان الشيخ أحمد بن راشد المعلا حاكم أم القيوين وأفراد عائلته وشخصيات البلد في مقدمة المستقبلين ، والشيخ أحمد الذي تخطى الستين من عمره هادئ الطبع وقور المظهر . وقد مشينا معه إلى دار الضيافة التي لم تكن بعيدة من مكان نزولنا ، وبعد استراحة قصيرة اجتمعنا به وبنجليه الشيخ راشد والشيخ سلطان ، وكان اجتماعاً خاصاً تم فيه بحث مهمة البعثة وقضايا الساعة .

ثم بدأت وفود المدعوين تصل إلى دار الضيافة ، حيث كان منهم أمراء المنطقة ووجهائها ، وقد تناول الجميع طعام الغداء ، وبعد ذلك ودّعنا الحاكم وكبار المدعوين وعدنا إلى دبي بالسيارات .

وفي يوم الإثنين الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) توجهنا بطائرة خاصة إلى رأس الخيمة ، حيث الطريق البري لم يكن معبداً في ذلك الوقت ، وكانت واسطة الانتقال بين دبي ورأس الخيمة تتم بواسطة سيارات الجيب أو اللاندروفور بسبب وعورة الطريق ، ووجود كثبان هائلة من الرمال الحمراء عند مشارف المدينة ، حيث كان من المستحيل اجتيازها بواسطة السيارات العادية (الصالون) . هبطت طائرتنا على مهبط من الأرض المنبسطة خارج المدينة ، وما أن توقفت الطائرة في المكان الذي كان يقف عنده المستقبلون وعلى رأسهم سمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي وولي عهده

الشيخ خالد وجمع غفير من أبناء البلاد وطلاب المدارس ، وكان استقبالا لا ينسى عكّت فيه الهتافات مرددة الشعارات الوطنية والقومية .

وكما حدث في دبي وغيرها من الإمارات فقد ظهر لنا أنه لم يبق أحد قادر على المحيي للاستقبال إلا وأتى ، كما كانت نسبة عالية من الجموع الغفيرة من النساء والأطفال ، وما كادت محركات الطائرة تتوقف عن الدوران حتى هجمت تلك الجماهير نحو الطائرة حتى أن بعضهم لم يتورع من الصعود فوق أجنحة الطائرة مما جعل الطيار يصرخ بصورة هستيرية من شدة الغضب خوفاً على الطائرة من العطب . وبهذا الأسلوب من العواطف المتفجرة كان استقبالنا في رأس الخيمة . وشق السيد عبدالحالق حسونة مع الشيخ صقر طريقهما بصعوبة إلى السيارة ، وتبعته السيارات الأخرى تشق طريقها وسط الغبار المتصاعد على جانبي الطريق التي لم تكن مبلطة في ذلك الوقت . وكنا نمشي فترة ونتوقف فترات بسبب شدة الزحام حتى وصلنا إلى المبنى القديم الذي كان يتخذة الشيخ صقر مكتباً له وصعدنا إلى الطابق العلوي وما هي إلا لحظات حتى وصلت الجماهير وأحاطت بالمبنى وملأت الساحات التي كانت مزينة بأعلام الدول العربية ، وكان بعض المواطنين يؤدون بعض الرقصات الشعبية والأهازيج الحماسية . وبعد استراحة قليلة في مكتب الشيخ صقر ألقى سمو ولي العهد الشيخ خالد كلمة ترحيبية نيابة عن والده ، وكانت الكلمة تشتمل على الكثير من المشاعر الوطنية والقومية ، وقد رد عليها الأمين العام بكلمة مناسبة ، وبعدها توجهنا إلى دار الضيافة ، حيث تناولنا طعام الغداء مع حشد كبير من المدعوين من حكّام المنطقة ووجهائها ، وخلال الزيارة دار الحديث مع الشيخ صقر وولي عهده عن أهداف الزيارة ، فوجدنا عندهما كل استعداد للتعاون لما فيه مصلحة المنطقة وشعبها ، ثم عادت البعثة قبل المساء لتستعد للرحلة الأخيرة في اليوم التالي .

الثلاثاء ٣ نوفمبر :

توجهنا صباح ذلك اليوم من مطار الشارقة بطائرة خاصة إلى مقاطعة كلبا على

خليج عُمان وهي تابعة إلى إمارة الشارقة ، ومع أن هدف الزيارة هو إمارة الفجيرة ، إلا أن نزولنا كان في كلبا القريبة من مدينة الغرفة التابعة للفجيرة ، حيث واصلنا من كلبا سيرنا بسيارات اللاندروف إلى مدينة الغرفة ، ومنها إلى مدينة الفجيرة والتي توجد بها قلعة قديمة سبق أن تعرضت في الماضي لمدافع البحرية البريطانية بسبب تمرد أهل البلاد على السلطات البريطانية ، وكان سمو الشيخ محمد بن حمد الشرقي حاكم إمارة الفجيرة في مقدمة مستقبلي البعثة ، وكذلك ولي العهد الشيخ حمد وعدد من أفراد العائلة الحاكمة وأهل البلاد ومدرسي المدارس ، حيث أمر الشيخ محمد بنصب سرادق كبيرة أمام القلعة القديمة مع عدة خيام ، وبعد الانتهاء من مراسم الاستقبال جلسنا في السرادق ، حيث تناولنا المرطبات ، ثم ألقيت بعض خطب الترحيب بالوفد ، وفي الوقت نفسه كانت الفرق الشعبية تؤدي بعض الرقصات احتفاء بهذه المناسبة . وعندما حان موعد الغداء فوجئنا برجال الشيخ يحملون أطباقاً هائلة ملئت بالرز ولحوم الخراف ، وكان كل طبق يحمله أربعة رجال لضخامته ، وهم يترنمون ببعض الكلمات والأغاني التقليدية التي تقال في مثل هذه المناسبات ، وكذلك قدمت أصناف أخرى من أنواع الأطعمة والحلويات والفواكه بسطت فوق حصران خاصة مستديرة تسمى (سفرة) بالاصطلاح المحلي في منطقة الخليج . وبعد الانتهاء من تناول الغداء جلسنا قليلاً في السرادق لتناول الشاي ، ثم انتقلنا إلى إحدى الخيام المنصوبة بالقرب منا حيث اجتمعنا بالشيخ محمد ودار الحديث حول الغاية من زيارة البعثة ، وأبدى الشيخ اغتباطه وسروره لاسيما وأن بلاده كما هو الحال في البلاد الأخرى في أمس الحاجة إلى المساعدات على كافة المستويات .

بعد هذا الاجتماع توجهنا بالسيارات إلى مقاطعة خور فكان وهي أيضاً تتبع لإمارة الشارقة ، وخور فكان عبارة عن ميناء بحري طبيعي يقع على خليج عُمان ، ويشبه ساحله الممتد حدوة الحصان ، وربما جاءت تسميته بخور فكان حيث كل طرف

من أطرافه يشبه الفك ، فالناظر إلى الميناء من المرتفعات المجاورة يرى بوضوح استدارة هذين الفكين ، ولا شك أنه سيكون لهذا الميناء شأن كبير في المستقبل القريب . وقبل حلول الظلام عدنا بسياراتنا إلى ميناء كلبا حيث كانت الطائرة بانتظارنا ، وكانت جائمة على أرض منبسطة ، ولكنها غير مبلطة ، ولكن الطائرة كانت من النوع الذي يستطيع الهبوط والطيران في مثل هذه الأماكن بسهولة نظراً لصغر حجمها ، حيث هي من نوع داكوتا D.C.3 وهو النوع الذي كنا نتنقل به كما ذكرت .

حلقت الطائرة بنا قبل الغروب بقليل ، وكان قرص الشمس الأحمر ينحدر غرباً نحو اللانهاية مرسلاً أشعته الذهبية على مياه الخليج الزرقاء ، فتعكس على قمم الجبال الجرداء فتعكسها بألوان غريبة كأنها ألوان قوس قزح ، وما هي إلا دقائق حتى بدأت الطائرة تنحدر بنا إلى الجانب الآخر من الخليج واختفى عن ناظرنا ذلك المنظر الخلاب الذي تعجز عن وصفه الأقلام .

وفي اليوم التالي المصادف الرابع من شهر نوفمبر كان آخر يوم لنا في منطقة الخليج ، حيث سافرنا في ذلك اليوم إلى المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية ، ونزلنا في مطار الظهران وتوجهنا بالسيارات إلى الدمام ، حيث قابلنا أمير المنطقة الأمير عبدالمحسن بن جلوى الذي أقام لنا حفلة عشاء كبرى حضرها عدد كبير من المدعوين ، والأمير عبدالمحسن أحجنا بتواضعه وسماحة طباعه وحسن استقباله للبعثة ، وبعد العشاء كانت تنتظرنا طائرة خاصة أفلتتنا إلى الرياض ، وعند وصولنا إلى الرياض كان في استقبالنا سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ، وقد صادف وصولنا إلى المملكة يوم تولي الملك فيصل زمام الأمور بعد عزل أخيه الملك سعود من قبل الأسرة الحاكمة ورجال الدين . وقد قضينا ليلتنا في فندق اليمامة ، وفي الصباح ذهبنا إلى مبنى رئاسة الوزراء فسلمنا على الملك فيصل وأعربنا لجلالته عن تهانينا له ، وأتذكر أنه قال لنا ما معناه : إنه أراد أن تكون النتيجة بخلاف ما حدث ، وأظنه كان

يقصد أنه كان يفضل لو تنازل الملك سعود بدلاً من العزل ، ثم أردف قائلاً : ولكن هذه مشيئة الله . ثم بدأ الحديث في موضوع الجولة التي قامت بها البعثة ، وبدأ الأمين العام يشرح للملك جميع تفاصيل الرحلة ، وكيف أن المنطقة في أمس الحاجة إلى مساعدة ، فأبدى الملك تفهماً عميقاً للمشكلة وكل ما يحيط بها من ملاسبات ، وقال مؤكداً إنه مستعد لتقديم ما يطلب من مساعدة ، ثم التفت وهو يتسّم نحو الدكتور محمود علي الداود وقال : نحن على استعداد لتحمل حصة إخواننا العراقيين ، إذا كانت ظروفهم في الوقت الحاضر لا تسمح لهم بالمشاركة ، فردّ عليه الدكتور محمود شاكرًا ومؤكداً استعداد العراق للمشاركة .

وفي أحاديثنا مع جلالة الملك قلنا له إن أهالي المنطقة متخوفون من ازدياد الهجرة الأجنبية وطغيانها على السكان الأصليين ، كما ذكرنا لجلالته إنهم يخشون أن يحل بهم ما حل بسكان جزيرة زنجبار^(١) ، وكيف طغت الأكثرية الأفريقية على الأقلية العربية والمجازر الرهيبة التي ذهب ضحيتها آلاف العرب الأبرياء ، وقد أظهر الملك تفهمه لواقع المشكلة ، وقال ما معناه : إننا لن نتخلى عن إخواننا هناك . ومما قاله الملك فيصل في تلك المناسبة عندما جاء ذكر البحرين ومطالبة إيران بالجزيرة ، قال : «لقد قلت للشاه في أحد لقاءاتي معه إذا حاول الجيش الإيراني النزول في الجزيرة فسيجد الجيش السعودي قد سبقه إلى هناك !

وفي مساء ذلك اليوم أقام جلاله الملك حفلة عشاء تكريماً للبعثة حضرها عدد من أشقاء الملك وبعض الوزراء^(٢) . وبعد العشاء ودّعنا جلالته وتوجّهنا إلى المطار حيث نقلتنا طائرة خاصة إلى الكويت .

(١) إن مأساة جزيرة زنجبار معروفة، حيث قام أعضاء الحزب الذي كان يتزعمه الإرهابي الفوضوي عبيد كارومي بمجزرة رهيبة راح ضحيتها آلاف من العرب، وقد ضمّت الجزيرة بعد ذلك إلى ما سمي بجمهورية «تزنانيا» ومأساة هذه الجزيرة وسكانها العرب تستحق أن يخصص لها بحث لكشف النقاب عن تفاصيل ما حدث من مؤامرات ضد العرب وضد حكمهم الذي دام قرابة ثلاثة قرون.

(٢) كان نظام المائدة وتقديم الطعام على الطريقة الغربية حيث تقدم أصناف الطعام حسب أولوية الصنف كما هي العادة، كما كان جلوسنا على نظام مرتب. كان السيد عبدالحالقي حسونة في وسط الجانب المقابل وكان مكاني على يمين الملك

وصلنا الكويت مساء الخميس ، وكان يوم الجمعة ٦ من نوفمبر يوم استراحة لنا بعد تلك الرحلة الطويلة المضنية . وفي صباح السبت السابع من نوفمبر ذهبنا للسلام على أمير البلاد الشيخ عبدالله السالم ، وقد شرحنا له تفاصيل الرحلة خصوصاً عمّا جرى لنا من حديث مع الملك فيصل ، ثم ذهبنا إلى سمو ولي العهد الشيخ صباح السالم الصباح للسلام عليه ولإطلاعه على أخبار جولة البعثة .

وفي مساء ذلك اليوم توجهنا بطائرة عسكرية كويتية إلى بغداد ووصلناها ليلاً ، وكان في استقبالنا وكيل وزارة الخارجية وبعض كبار الموظفين .

وكان برنامجنا في اليوم الثاني زيارة وزير الخارجية المقدم صباحي عبدالحميد ، ثم رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى ثم الرئيس عبدالسلام عارف ، وتناول طعام الغداء على مأدته . وقد تمت جميع هذه المقابلات في جو من الود والتفاهم ، كما شرح الأمين العام للمسؤولين نتائج الرحلة وظروف المنطقة والمساعدات التي لا بد للدول المعنية من أن تقدمها على أساس أنها واجب قومي .

انتقلنا من مكتب الرئيس عارف في القصر الجمهوري إلى قاعة الطعام القريبة من مكتب الرئيس ، وصادف أن جلس بجانبني رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى الذي سبق أن التقيت به في عدة مناسبات خلال اجتماعات رؤساء الوزارات في القاهرة ، وهو شخص يميل إلى الصراحة في أحاديثه بعيداً عن التكلف أو التحفظ المعتاد ، وبدا حديثه معي قائلاً : يا أخي لماذا لا يستثمر إخواننا الكويتيون بعض أموالهم في العراق ، حيث مجال الاستثمار واسع ومربح بالنسبة لهم ، ثم توسّع في أحاديثه وكلها تدور حول هذا الموضوع ، وبعد أن انتهى من حديثه قلت له : سيادة الرئيس إن ما قلته كله صحيح والكويتيون أنفسهم يتمنون أن يكون لهم مجال لاستثمار الفائض من أموالهم في العراق ، وهناك عدة اعتبارات بالنسبة إلى الكويتي فهو ينظر إلى العراق كبلد شقيق تربطه وإياه صلات الجوار والدم والدين ، وللكويتيين مصالح واستثمارات في

العراق منذ القدم ، لاسيما مدينة البصرة ، ومنذ زمن بعيد كما هو معروف ، وبالرغم من هذه الإيجابيات فهناك نواحي سلبية تعرقل هذا التقارب وهذا الشعور ، قال : مثلاً؟ قلت له : تعرف سيادتك أن التاجر الكويتي حر في البحث عن المكان المناسب لاستثمار أمواله ، وقد اعتاد أن يمارس نشاطه هذا دون أن تتدخل السلطة في شؤونه ، وكما يقال : فإن رأس المال طموح وجبان بنفس الوقت ، فقد تؤثر فيه الإشاعات ، فكيف إذا أصبحت هذه الإشاعات حقائق ثابتة ، وأنتم في شهر تموز (يوليو) الماضي عشية الاحتفال بعيد الثورة أعلنتم تأميم عدد كبير من المؤسسات الوطنية والأجنبية ، وكان لهذه الإجراءات ردة فعل سلبية عند أصحاب رؤوس الأموال في الكويت وخارجها ، فكيف تنتظر أن يأتيك الرأسمال الكويتي أو غيره في مثل هذه الظروف؟ فأطرق برأسه قليلاً وكأن كلماتي هذه كانت مفاجأة له ، ولكنه لم يجعلني أنتظر كثيراً فردّ عليّ بصراحته المعهودة قائلاً : الحقيقة أننا أقدمنا على التأميم لأسباب سياسية ! ولم أتوقع منه مثل هذا الجواب الصريح ، ولكنه لم يزد ولم يفصح عن تلك الأسباب ، وقد كان ردّه هذا هو نهاية الحوار حول هذا الموضوع .

وحول موضوع التأميم الذي أشرت إليه أود أن أضيف أنه بعد فترة من ذلك الحديث مع الفريق طاهر يحيى التقيت بأحد الأصدقاء العراقيين الذي له اطلاع واسع في شؤون العراق الداخلية وقصصت عليه ما دار من حديث بيني وبين الفريق طاهر يحيى . فردّ عليّ قائلاً : إن ما قاله لك طاهر يحيى هو صحيح ، وذلك فإن جماعة من الوزراء العسكريين المتنفذين الذين كانوا قد زاروا القاهرة في تلك الأيام والذين يطلق عليهم (بالوحدويين) هم الذين فرضوا التأميم على وزارة طاهر يحيى يؤيدهم في ذلك بعض ضباط الجيش وبعض المدنيين ، وقد هددهم بالقيام بانقلاب عسكري إذا رفض مشروع التأميم !!! فاضطر إلى اتخاذ ذلك القرار بينما سبق له ولبعض وزرائه أن أعلنوا خلاف ذلك في عدة مناسبات .

قلت للصديق إذا كان الجماعة أرادوا الاقتداء بمصر فالوضع في مصر يختلف اختلافاً جوهرياً عن الأوضاع في العراق ، فأكثر المؤسسات التي تم تأميمها في مصر كانت أجنبية ، وقد بلغت حصيلة التأميم ما يقارب خمسمئة مليون جنيه على ما أظن ، أما في العراق فإن المؤسسات التي شملها التأميم كانت أكثرها عراقية أو عربية ، وأن حصيلتها لم تزد على سبعة عشر مليون دينار عراقي ، كما شاع في ذلك الوقت ، فأين هذا من ذلك ، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ردود الفعل التي ترافق التأميم . قال : هذا هو الذي حدث بخيره وشره ، والأيام كفيلة بأن تكشف مدى الخطأ أو الصواب سواء أكان ذلك في مصر أو في العراق .

لقد حضرنا في مساء ذلك اليوم الثامن من نوفمبر حفلة عشاء كبيرة في فندق بغداد أقامها على شرف الوفد المقدم صبحي عبد الحميد وزير الخارجية حضرها عدد كبير من رجال الدولة وعلى رأسهم الفريق طاهر يحيى وأعضاء السلك الدبلوماسي وبعض الشخصيات العراقية .

وفي اليوم التالي تناولنا طعام الغداء في السفارة السعودية . وفي مساء الثلاثاء العاشر من نوفمبر ١٩٦٤م عدنا إلى الكويت ، وقد أنهينا تلك الرحلة التي دامت ثمانية عشر يوماً .

حصيلة الرحلة

مما لا شك فيه أن هذه الرحلة خلقت أوضاعاً جديدة في المنطقة ، فقد أذكت وغطت هذه الزيارة الشعور القومي عند أبناء البلاد وبأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، كما قوت عندهم الأمل في مستقبل أفضل ، وأن العزلة التي كانوا يعيشونها أو عاشوها فترة طويلة من الزمن قد ولّت وانتهت ، فهذا هو الأمين العام لجامعة الدول العربية يأتي على رأس بعثة عربية تمثل ملوك ورؤساء الدول المطلة على الخليج ، تأتي باسم جميع الدول العربية الأعضاء في الجامعة لتخبرهم باهتمام ملوك ورؤساء الدول العربية بقضاياهم ، وأن كونهم غير متمين لعضوية الجامعة لا يعني عدم الاهتمام بأمورهم بوصفهم عرباً أشقاء ، وأن موثيق الجامعة العربية تنص على نصرتهم والوقوف إلى جانبهم . وقد وعدوا بأن مساعدات الجامعة العربية ستأتي متممة للمساعدات الكويتية التي كانت مشتملة على فتح المدارس والمستشفيات ، وأن مساعدات الجامعة ستشتمل على بناء الطرق ومحطات الكهرباء والماء ، واستغلال الأراضي الصالحة للزراعة ، كما وعدوهم بأن بعثة فنية ستزور المنطقة قريباً لوضع الدراسة اللازمة لكل هذه الأمور .

وبالرغم من نواحي الضعف والتفكك التي كانت تتصف بها الجامعة العربية وأجهزتها المختلفة في ذلك الوقت فإن الزخم المعنوي الذي ولدته هذه الزيارة كان له تأثير بالغ على نفسية المواطنين وإعادة الثقة إلى نفوسهم ورسوخ فكرة الوطن العربي الواحد من محيطه إلى خليجه ، كما صاحب هذا الشعور بداية تخلخل النفوذ البريطاني وزعزعته بعد حرب السويس عام ١٩٥٦م ، بالرغم مما له من قوة وجبروت ممثلة في المقيم البريطاني الذي كان يعتبر قمة السلطة في المنطقة في ذلك الوقت ، ويأتي من بعده المعتمد الذي كان هو الحاكم بأمره بالنسبة لنزاعات الحدود والصدام القبلي وغير ذلك من كافة النزاعات المحلية المتكررة ، فكلما حدث شيء من هذا

الخلاف لجأ الجانب الضعيف إلى المعتمد يشكو إليه طغيان جاره عليه وأحياناً قد يكون هذا الطغيان مدبراً ومفتعلاً القصد منه تذكير الناس بنفوذ المعتمد وقوته . ومن يدري فرمما كان للمخبرات دورها الفعال في مثل هذه المسرحيات المأساوية اعتماداً على مبدأ فرق تسد ، والسياسة لا ترحم .

وبالرغم من أن البعثة في جولاتها في إمارات الخليج العربي لم تتعرض لامن قريب ولا من بعيد للسياسة البريطانية أو النفوذ البريطاني حرصاً منها على إنجاز مهمتها الأخوية ، فلا أحد يستطيع أن ينسب إلى رئيس البعثة الأمين العام للجامعة أو أي عضو من أعضائها أنه تعرض للسلطات البريطانية ، لا بالتصريح ولا بالتلميح ، حتى الخطب الترحيبية التي ألقى احتفاءً بالبعثة كانت خالية مما يثير العداء ضد بريطانيا ، وفيإن الشيء الذي لا يمكن تجاهله والذي كانت بريطانيا تحسب له ألف حساب هو هذه الهزة العنيفة والحس الوطني والقومي الذي طغى على المنطقة في أثناء تجوال البعثة ، في الوقت الذي كانت بريطانيا تعتبرها منطقة محرمة على غيرها منذ عقدها معاهدات الحماية أو معاهدات الإذعان ، كما تصح التسمية ابتداء من عام ١٨٢٠م وما بعده ، والذي كما ذكرت كان المعتمد فيها هو كل شيء ، وكان ينظر له أنه أعلى مرتبة من الحكام ، فهم الذين يزورونه إذا جاء من سفره^(١) ، وإذا مرّ بأحد الأسواق وقف الناس جميعاً تحية له حتى يمر موكبه ، علماً بأن رتبة المعتمد الدبلوماسية لا تزيد على سكرتير أول في غالب الأحيان !

ومن هذه الخلفيات بدأت الوسوس تقلق صانعي السياسة البريطانية وموجهيها ،

(١) كانت هذه العادة متبعة في بعض الإمارات ، وقد قضى عليها عامل الزمن مع مظاهر التبجيل الأخرى ، وذلك منذ بداية الستينات ، وقد ذكرناها للتاريخ ، ولأنها كانت قائمة فعلاً ، وقد شاهدها بنفسي . أما فيما بعد فأصبح أولئك الحكام في زيارتهم الرسمية تستقبلهم ملكة بريطانيا في محطة فكتوريا باعتبارهم رؤساء دول .

كذلك هناك كابوس عبدالناصر والحكومات الثورية في المنطقة . ولذلك فقد بدأت حملة خفية مركزة لتطوير التأثير الذي أحدثته بعثة الجامعة العربية وتحديد نشاطها في أضيق مجال ، والأحداث التي أعقبت زيارة البعثة أثبتت حقيقة هذه التخرصات ، وفي الفصول القادمة سيرى القارئ ما تعرضت له الكويت من ضغوط من قبل السلطات البريطانية لحمل الكويت على التخلي عن السير في مؤازرة الجامعة لاسيما المساهمة في صندوق الجامعة المقترح ، ولكن الكويت ظلت صامدة ولم تتأثر بتلك الضغوط .

وفي الواقع فإنه بالإضافة إلى تخوف بريطانيا من أن تثير جولة البعثة نوعاً من الوعي السياسي في المنطقة ، كان هناك أمر آخر هو أن البعثة بما كانت تنوي إنجازها من مشاريع في مجال التعليم والصحة والاقتصاد بالإضافة إلى ما قامت به الكويت في المنطقة ، أظهرت بوضوح تقصير السلطات البريطانية في القيام بأي عمل يذكر في هذا المجال واكتفائها بفرض نفوذها والوقوف بحزم دون تغلغل أي نفوذ آخر ، وهذه الحقائق يعترف بها البريطانيون أنفسهم ، ومنهم المستر دونالد هاولي المعتمد البريطاني في دبي ١٩٥٨ - ١٩٦١م (١) .

فمنذ رسخت بريطانيا أقدامها في المنطقة في بداية القرن التاسع عشر ، كانت مهمتها الأولى الحرص على سلامة الملاحة في الخليج مع عدم إفساح المجال أمام أي نفوذ آخر للتدخل ، ويكفي أن الصراع مع فرنسا على المنطقة كان منذ أيام نابليون وبعده ، وعندما نذكر الملاحة في الخليج في ذلك الوقت نعني المصالح الإمبريالية البريطانية في الهند وأنحاء الشرق الأخرى . ولهذا فإنها ألزمت حكام الإمارات العرب بالمحافظة على سلامة الملاحة في مياه الخليج ، أما أمور البلاد الداخلية فكان أمرها متروكا للحكام المحليين أنفسهم ، وظلت البلاد على فقرها وبؤسها فترة تقارب المئة

(١) راجع كتابه The Trucial States الذي أشرنا إليه .

والخمسعين عاماً . وظل الحال على هذا المنوال إلى أن بدأت رائحة النفط تعبق في أجواء المنطقة ، عندها شعرت بريطانيا بوجوب الاهتمام بما أهملته طيلة قرن أو يزيد ، وهكذا بدأ خبراء النفط يتدفقون عليها ، وشعرت بريطانيا بضرورة توفير الحماية والأمن لهم ، فشكّلت في عام ١٩٥٢م قوة مسلحة من المحندين المحليين والأجانب يقودها ضباط بريطانيون وسميت هذه القوة بـ «كشافة ساحل عُمان»^(١) ، وفي عام ١٩٥٣م رفعت درجة الضباط السياسي إلى معتمد ، ونقلت مقره من الشارقة إلى دبي ، ومع زيادة الاهتمام بالنفط كان اهتمام السلطات البريطانية بالمنطقة وفرض سيطرتها يتزايد ، ففي حلول عام ١٩٥٧م عيّنت بريطانيا ضابطاً سياسياً في أبوظبي ، وكانت في السابق تابعة لسلطة المعتمد في دبي ، ثم رفعت درجته إلى معتمد أو وكيل سياسي في عام ١٩٦١م^(٢) ، كذلك بدأ الصراع الخفي بين شركات البترول الأمريكية ممثلة في مجموعة شركات الأرامكو والشركات البريطانية ممثلة في مجموعة شركات النفط البريطانية B.P. ، ومن هنا ثار الصراع على الحدود ومناطق النفوذ في تلك الأراضي الصحراوية التي لم تكن تثير اهتمام أحد باستثناء رعاة الغنم ، وربما كان ينطبق عليها المصطلح الإنجليزي No Man's Land الذي معناه إنها أراضي مشاعة وليست لأحد ، وإذا بقدرة قادر تصبح هذه البلاد المهجورة عزيزة على قلوب الجميع ! بمن فيهم خبراء النفط طبعاً .

استعداد البعثة الفنية للسفر

اجتمعت لجنة الممثلين الشخصيين للملوك والرؤساء العرب التي تشكّلت بعد انعقاد مؤتمر القمة الأول وهي لجان متابعة وتتألف من السفراء العرب المقيمين في

(١) راجع كتابه Farewell to Arabia, by David Halden .

(٢) بدأت أول شحنة للنفط من أبوظبي في عام ١٩٦٢م .

القاهرة^(١) ، كان اجتماعها بتاريخ الرابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٤ م ، وقدّم لها الأمين العام تقريراً شاملاً عن الرحلة ، وقد أثنت اللجنة على الجهود التي بذلتها البعثة ، وأوصت بأن تساهم جميع الدول العربية كل على حسب طاقته في صندوق خاص لإعانة الإمارات المحتاجة يكون تحت إشراف الجامعة العربية ، كما فوّضت لجنة الممثلين الشخصيين الأمين العام بتشكيل اللجنة الفنية وإيفادها للمنطقة بأقرب وقت ممكن ، ليكون بالإمكان تقديم مقترحاتها إلى مؤتمر رؤساء الوزراء العرب الذي تقرر عقده في التاسع من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ م .

وعلى ضوء هذه الأحداث تشكّلت اللجنة الفنية برئاسة الدكتور محمد أحمد سليم (رحمه الله) خبير السدود المصري المعروف مع تسعة من الفنانين العرب بما فيهم مندوب الكويت المهندس محمد يوسف الرومي ، الذي انضم إلى البعثة عند وصولها الكويت في ١٦ / ١٢ / ١٩٦٤ م ، وقد سافرت البعثة في اليوم التالي إلى إمارات الساحل حيث بقيت هناك مدة عشرة أيام عادت بعدها إلى القاهرة وقدمت تقريرها الذي اشتمل على أكثر من مئة وخمسين صفحة ، اشتملت على عدة مجالات صحية وثقافية واقتصادية ، كما سيأتي ذكره فيما بعد^(٢) .

مجلس رؤساء الحكومات العربية

ترأس وفد الكويت في هذا الاجتماع سمو الشيخ صباح السالم الصباح بصفته رئيساً للوزراء في ذلك الوقت ، وكنت أحد أعضاء الوفد ، وقد سافرنا من الكويت عن طريق بيروت ، حيث أخذنا الطائرة المصرية المسافرة مساء يوم الجمعة ٨ / ١ / ١٩٦٥ م ، وكنا في شهر رمضان وقد علمنا ونحن في الجو أن مطار القاهرة

(١) لقد كان لكل دولة عربية ممثل شخصي لرئيس الدولة ، وكانت مهمة هؤلاء الممثلين الشخصيين متابعة تنفيذ قرارات القمة .

(٢) انظر الملحق المتضمن كشف بأسماء أعضاء البعثة الفنية وبعض التقارير .

مغلق بسبب سوء الأحوال الجوية ، فنزلت الطائرة في قبرص ، وكان معنا على نفس الطائرة الوفد السوري برئاسة الدكتور نور الدين الأتاسي ، وتجمعنا في قاعة الانتظار ننتظر خبر إقلاع الطائرة لكن دون جدوى ، وقبل طلوع الفجر بقليل جاء الفرج وأقلعت الطائرة متوجهة نحو القاهرة ، حيث وصلناها عند مطلع الفجر ، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم التاسع من يناير ١٩٦٥م عقد مجلس رؤساء الحكومات العربية أولى جلساته ، وكانت مهمة المجلس متابعة قرارات مؤتمرات القمة ، حيث عقد عدة اجتماعات فيما بعد تتعلق بمهمته وأنهى اجتماعاته يوم الثلاثاء العاشر من رمضان ١٣٨٥هـ الموافق الثاني عشر من يناير ١٩٦٥م .

وفيما يتعلّق بموضوع الخليج وبعثة الجامعة أصدر المجلس القرار التالي : «نظر المجلس في التقارير المقدمة من بعثة الأخوة العربية والبعثة الفنية الموفدتين من الجامعة العربية إلى إمارات الخليج العربي ، وصدوراً من نص ميثاق جامعة الدول العربية على التعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة ، للعمل على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها ، وتنفيذاً لموافقة مجلس الملوك والرؤساء العرب في دور اجتماعه الثاني على ضرورة العناية بهذه القضية ومضاعفة الجهود العربية المبذولة في هذه الإمارات العربية ودعمها ، يدعو المجلس إلى بذل الجهود العربية المشتركة لمساعدة هذه الإمارات الشقيقة على الظفر بالحرية والتقدم ومساندتها في كل ما يدرأ عنها خطر الهجرات الأجنبية ويكفل لها المحافظة على عروبتها ، ويقرر ما يلي :

١ - إنشاء صندوق في الجامعة يمولّ عن طريق المساهمة الاختيارية من الدول والإمارات العربية للإنفاق منه على المعونات والخدمات التي تقدم إلى إمارات الخليج العربي .

٢ - يمكن للدول الأعضاء أن تساهم في الصندوق عن طريق تقديم الفنيين والخبراء والمساعدات العينية فضلاً عن المساهمات المالية .

٣ - إنشاء لجنة دائمة في الجامعة العربية للدراسة والإشراف على تقديم المعونات إلى إمارات الخليج العربي ، ويرأسها الأمين العام ويختار أعضاؤها من الدول والإمارات العربية المساهمة في صندوق الخليج العربي .

٤ - أن يقدم الأمين العام تقريراً دورياً عن أعمال اللجنة الدائمة إلى مجلس رؤساء حكومات الدول العربية»^(١) .

وبتاريخ ١٨ فبراير ١٩٦٥م بعث الأمين العام برسائل إلى وزراء خارجية الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية وإلى حكام كل من إمارات قطر وأبوظبي والبحرين وأرفق مع تلك الرسائل نسخاً من نص قرارات مجلس رؤساء الوزراء العرب المشار إليها ، طالباً إلى الجميع المساهمة في الصندوق المقترح ، وعلى أثر ذلك تلقت الأمانة العامة ما يأتي : أولاً - رد وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية بتاريخ ٦ / ٢ / ١٩٦٥م ، متضمناً عدم موافقة حكومته على قرار رؤساء وزراء الحكومات العربية^(٢) ، وأبدى حاكم قطر استعداده للمساهمة وطلب مهلة لدراسة المشروع ، كما تلقت الأمانة برقية من حاكم أبوظبي تفيد بأنه سيبحث رده بالبريد ، ورد حاكم البحرين بأن بلاده تساهم منذ مدة في مجال التعليم في الإمارات^(٣) ، وأن ظروف البلاد المالية في ذلك الوقت لا تسمح بمزيد من المساعدة ، كما وعد الحاكم في رسالته بأنه على استعداد لإعادة النظر في الموضوع إذا تحسنت أوضاع البلاد المالية .

(١) أبدى الوفد السعودي تحفظه على هذه القرارات بسبب فتح المجال أمام أعضاء جدد بالإضافة إلى الأعضاء السابقين .

(١) تقرير الأمين العام المؤرخ ١١ / ٢ / ١٩٦٥م .

(٢) كان للبحرين تسعة مدرسين في مدارس إمارات الساحل في ذلك الوقت .

اجتماع بعثة الجامعة أو اللجنة الدائمة

كما سميت فيما بعد

وصلتني من الأمين العام دعوة لحضور الاجتماع الذي تقرر عقده يوم ١١/٢/١٩٦٥ م ، وقد توجّهت إلى القاهرة يوم ٩/٢/١٩٦٥ م ، وفي اليوم التالي من وصولي قابلت السيد الأمين العام في مكتبه بالجامعة العربية وبحثت معه عدة أمور تتعلق بشؤون الإمارات وبرامج المساعدات ، وبدأت اللجنة اجتماعاتها يوم ١١ من فبراير ، وحضرها لأول مرة السيد حسن صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس عبدالناصر ، تمشياً مع القرار الذي اتخذه مجلس رؤساء الحكومات العربية الذي عقد في شهر يناير من ذلك العام^(١) ، وقد أشرنا إلى عدم موافقة حكومة المملكة العربية السعودية على قرارات المجلس ، وكانت الدلائل تشير إلى أن المملكة العربية السعودية لم تكن تحبذ إشراك دول جديدة في برنامج المساعدات لاسيما إذا كانت تلك الدول لا تربطها علاقات حسنة مع السعودية ، كما كان عليه الحال مع حكومة مصر في ذلك الوقت بسبب حرب اليمن ، كما أشرنا في الماضي^(٢) ، ولكن حجة مصر أو الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تسمى في ذلك الوقت أنها كانت تساهم في مجال التعليم في المنطقة منذ مدة ، حيث كان لديها في ذلك الوقت ما يقارب التسعين مدرساً مصرية تدفع رواتبهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة . عند هذه النقطة بدأ التخلخل في عمل اللجنة وفعاليتها ، كما سيأتي ذكره فيما بعد ، واختتمت اللجنة اجتماعاتها في ١٥ من فبراير واعتمدت مبلغ مليون جنيه إسترليني تكاليف للمرحلة الأولى للمساعدات ، وذلك بناء على تقارير اللجنة الفنية التي سبقت الإشارة إليها^(٣) ، وقد تم توزيع مبلغ المليون جنيه على النحو التالي :

(١) راجع قرارات المجلس .

(٢) بالإضافة إلى حرب اليمن كانت هناك حرب الصحف والإذاعات .

(٣) طلب مندوب السعودية مراجعة حكومته قبل الموافقة على هذا القرار .

- ٢٠٠ ألف جنيه إسترليني للطرق .
- ١٠٠ ألف جنيه إسترليني لمشاريع الكهرباء .
- ٢٥٠ ألف جنيه إسترليني للمياه .
- ١٠٠ ألف جنيه إسترليني للزراعة .
- ٢٠٠ ألف جنيه إسترليني للصحة .
- ١٥٠ ألف جنيه إسترليني احتياطي للطوارئ .

وقد تقرر توزيع هذا المبلغ على الدول الأربع المشتركة في اللجنة وهي العراق والسعودية والجمهورية العربية المتحدة والكويت ، وبتاريخ ٢٣ من فبراير ١٩٦٥م أرسل الأمين العام رسائل للدول الأربع الممثلة في اللجنة لتحويل أنصبتها من هذا المبلغ ، أي ربع مليون جنيه إسترليني من كل دولة ، على أن يحول هذا المبلغ قبل الخامس عشر من شهر مارس ١٩٦٥م ، وقد التزمت دولة الكويت بهذا القرار وحوّلت المبلغ إلى بنك دبي الوطني ، وسجل المبلغ باسم الجامعة العربية ، وقد تبين لنا فيما بعد أن الكويت هي الدولة الوحيدة التي التزمت بوعدها وحوّلت المبلغ الذي بقي حوالي ثلاث سنوات محجوزاً في بنك دبي الوطني . وقد أخذت الكويت موافقة الجامعة على سحبه فيما بعد .

اجتماع مجلس الحكام في دبي

لقد أشرت إلى التخلخل الذي طرأ على اللجنة عندما انضم إليها السيد حسن صبري الخولي ممثل الرئيس جمال عبدالناصر ، وذلك بسبب معارضة المملكة العربية السعودية لهذا التغيير الذي طرأ على هيكل اللجنة ، ولقد وجد الإنجليز في هذا الخلاف فرصتهم الذهبية لعرقلة أعمال اللجنة ، وبالتالي إبعادها عن المنطقة والقيام بأعمال بديلة تصرف الناس عن التفكير في الجامعة وتصرف أنظارهم عما كان مفروضاً أن

يأتيهم من مساعدات كما سنرى من خلاصة التقرير الذي وردنا من مكتبنا في دبي ، والذي أشار إلى زيارة المقيم السياسي إلى إمارات الساحل في الأسبوع الأول من شهر فبراير ١٩٦٥م واجتماعه بالحكّام ، حيث أخبرهم بأن حكومة المملكة العربية السعودية ستتبرع بمليون جنيه استرليني ودولة الكويت بمليون ونصف (كذا . . .) وحكومة قطر بمبلغ محترم ، وكذلك الحكومة البريطانية وحكومة أبوظبي ، وطلب من الحكّام فتح مكتب وتفويض اللجنة الاستشارية للقيام بالتخطيط . وقد جاء في التقرير أن اللجنة الاستشارية هذه عقدت جلسة في مكتبة دبي العامة ، وقد حضر المعتمد البريطاني الجلسة بصفة مستمع ، كما حضرها السيد عدي البيطار المستشار القانوني للإمارات ، وهو أردني الجنسية ، وقد تم تعيينه في تلك الأيام ، وقد اقترح المعتمد إنشاء مكتب لتسلم المساعدات وصرفها حسبما تقتضيه مصلحة الإمارات ، فوافقت اللجنة على ذلك .